
THE MAN
WHO WOULD
BE KING
رواية
الرَجُل
الـــذي
سيُصبح
مَــلكـًا
نوبل1907
روديارد كيبلينج
ترجمة: السيد طـه
ساحر الكتب

نُشِرَت للمرة الأولى عام 1888

الرجل الذي سيصبح ملكًا

"يصير الذي يستحق أخًا لأمير.. ورفيقًا لمتسول".

يحدد القانون في نصوصه طريقًا محددًا للحياة لا يسهل اتباعه. كنتُ رفيقًا لمتسول مرارًا في ظروف لم تُمكن أيًا منا من تحديد ما إذا كان الآخر يستحق تلك الرفقة. وما زال عليّ أن أصبح أخًا لأمير، لكنني أوشكت ذات مرة أن أصبح بالفعل أحد أقارب شخص كان من الممكن أن يصبح ملكًا حقيقيًا، حيث تم وعده باستعادة مملكته بكامل جيوشها ومحاكمها وسياساتها وعائداتها.

أخشى أن ذلك الملك مات وإذا كنتُ في حاجة لتاج عليّ أن اصطاده لنفسي.

كانت بداية كل شيء في عربة قطار متجهة إلى مهو من أجمير. ولنقص في الميزانية كنتُ مسافرًا لا في الدرجة الثانية، التي أفضلها مقدار نصف تفضيلي للدرجة الأولى، ولكن كنتُ مسافرًا في الدرجة الوسطى وهو أمرٌ شديد السوء بالفعل. لا توجد وسائد على كراسي الدرجة الوسطي

وغالبًا ما يستقلها أبناء الطبقة الوسطى، وهم أولئك الذين ينحدرون من أصول أوروبية وآسيوية مختلطة، أو محليون مزعجون جدًا لرحلة ليلية طويلة، أو متسكعون مخمورون غير أنهم مسليون. ركاب الدرجة الوسطى لا يذهبون إلى كبينة المشروبات، فهم يحملون أطعمتهم معهم في صرر وآنية، ويشترون الحلوى من بائع محلي، ويشربون من مضخات المياه على جانبي الطريق. لذلك عندما يكون الطقس حارًا فإنهم يُحملون خارج العربات موتى، وغالبًا ما يُنظر لهم باحتقار في جميع درجات الحرارة.

كانت العربة التي ركبتها في الدرجة الوسطى فارغة حتى وصلت ناصر آباد، حيث ركب رجل يرتدي قميصًا، وعلى عادة أبناء الطبقة الوسطى بدأ حوارًا معي. كان متجولًا مثلي، لكنه يمتلك ذائقة جيدة في الويسكي وعالمًا بأنواعها. حكى لي عن أمورٍ رآها وفعلها في أرجاء الإمبراطورية النائية التي زارها، وعن مغامرات خاطر فيها بحياته من أجل طعام يكفيه لأيام قليلة. قال "لو أن الهند مملوءة برجال مثلي ومثلك لا يعرفون أكثر مما تعرفه الغربان ويحصلون على ما يكفي يومهم التالي فقط، لأصبحت عائدات تلك الأرض سبعمئة مليون بدلًا من سبعة ملايين فقط". وبينما كنت أنظر إلى فمه وذقنه كنت أميل للاتفاق معه في الرأي. تكلمنا

في السياسة، سياسة المتسكعين الذين يرون الأشياء من أسفلها حيث لا يزال والألواح خشنة لم يتم تنعيمها. اتفقنا على ترتيبات الذهاب إلى مكتب البريد كي يرسل تلغرافًا إلى أجمير في المحطة التالية، حيث سنقوم بتغيير خط القطار من ذلك المتجه إلى بومباي إلى آخر متجه إلى مهو. لم يكن صديقي هذا يمتلك مالًا إلا ثماني آنات(1) يحتاجهم لتناول العشاء، ولم أكن أمتلك مالًا على الإطلاق، بسبب نقص الميزانية الذي أشرت إليه سابقًا. بالإضافة إلى أنني كنت متجهًا إلى البرية حيث لا يوجد أي مكاتب تلغراف على الرغم من أنني يجب أن أتواصل مع وزارة المالية؛ لذلك لم يكن باستطاعتي مساعدته بأية طريقة.

قال صديقي: "ربما نهدد أحد رووؤساء المحطة ونجعله يرسل لنا التلغراف، ولكن هذا قد يعني المزيد من التحقيقات معي ومعك وأنا لديّ ما يكفيني تلك الأيام. هل قلت أنك ستعود أدراجك على الطريق نفسه؟ وفي غضون كم يوم؟"

قلت: "في غضون عشرة أيام"

قال: "أليس بإمكانك جعلهم ثمانية أيام؟ فالأمر طارئ"

قلت: "بإمكاني إرسال تلغرافك في غضون عشرة أيام إن كان هذا يناسبك"

"أظن الآن أنني لا أستطيع الوثوق في أن التلغراف سوف يصله في الوقت المناسب. هذا هو الطريق. سيغادر دلهي في الثالث والعشرين من الشهر متجهًا إلى بومباي، وهذا يعني أنه سيمر بأجمير مساء اليوم نفسه"

شرحت له: "ولكنني سأتجه إلى الصحراء الهندية"

قال: "حسنٌ، لا بد لك من تغيير الطريق في تقاطع ماروار كي تتمكن من دخول منطقة جودهابور، وهو سيمر بتقاطع ماروار صباح يوم الرابع والعشرين، هل يمكنك أن تكون في تقاطع ماروار في هذا التوقيت؟ لن يسبب لك هذا الأمر إزعاجًا لأني أعرف أنه يوجد الكثير من الأشياء الثمينة التي يمكن التقاطها من تلك المقاطعات الهندية، حتى لو أنك تظاهرت بأنك مراسل صحيفة الرجل البدائي"

سألته: "هل جربت تلك الحيلة من قبل؟"

قال مؤكدًا على كلامه: "مرارًا وتكرارًا، لكن السكان

يكتشفونك ثم يصطحبونك إلى الحدود قبل أن تتمكن حتى من خداعهم. دعنا نناقش أمر صديقي هذا أولًا، لا بد أن أخبره بما حل بي وإلا لن يعرف أين يذهب. سأعتبر الأمر أكثر من لطف منك لو أنك تمكنت من الخروج من وسط الهند في وقت مناسب لتلحق به في تقاطع مارورا وتقول له: "لقد ذهب جنوبًا لأسبوع" سيفهم ما يعنيه هذا. إنه رجل ضخم ومنتفخ ذو لحية حمراء، ستجده نائمًا مثل رجل نبيل وحوله حقائبه في إحدى عربات الدرجة الثانية. لا تخف، قف تحت النافذة وقل "لقد ذهب جنوبًا لأسبوع". إنني أطلب منك تلك الخدمة باعتباري غريبًا ذاهبًا إلى الغرب، فالأمر لن يضطرك إلا إلى قطع يومين من مدة إقامتك في تلك المنطقة".

قلت: "من أين جئت؟"

قال: "من الشرق، أطمح في أن تنقل له الرسالة بأمانة، لوجه والدتي وكذلك والدتك".

لا يلين الإنجليز عادةً لمثل تلك الاستعطافات بذكرى أمهاتهم، ولكن لأسباب ستظهر فيما بعد بوضوح وجدت أنه من الملائم الموافقة.

قال: "إنه أمر أقل من تافه، ولذلك أطلب منك القيام به، الآن أعرف أنه بإمكاني الاعتماد عليك في القيام بما أطلبه منك. عربة من عربات الدرجة الثانية في تقاطع ماروار، ورجل شعره أحمر، نائم فيها. سوف تتأكد من تذكر ذلك. سأنزل في المحطة التالية وأبقى هنا حتى يأتي أو يرسل لي ما أريده".

قلت: "سأنقل له الرسالة إذا لحقت به، وسأمنحك نصيحة لوجه والدتك وكذلك والدتي، لا تحاول التجول في مقاطعات الهند الوسطي باعتبارك مراسلا لصحيفة الرجل البدائي، لأنه يوجد مراسل حقيقي للصحيفة في المنطقة وقد يؤدي الأمر لمتاعب".

قال ببساطة: "شكرًا لك، ومتى سيرحل هذا الخنزير؟ لا يمكنني أن أموت جوعًا لأنه يقوم بعملي. أريد أن أجد أمير ديجامبر لأسأله عما فعله بأرملة والده، ثم أسرقه".

"ماذا فعل بأرملة والده، إذن؟"

"ملأها بالفلفل الأحمر وضربها بالقباقيب حتى الموت بينما تتدلى من عمود. عرفت بتلك القصة وحدي وسأكون الرجل

الوحيد الذي يتجرأ على الدخول إلى المقاطعة للحصول على المال مقابل سكوتي. سيحاولون سجني، كما حدث لي في شورتومنا عندما حاولت أن أتكسب هناك. ستنقل رسالتي إلى الرجل في تقاطع ماروار، أليس كذلك؟".

نزل في محطة صغيرة على جانب الطريق، وبدأت في التفكير. كنت قد سمعت عن أولئك الذين ينتحلون شخصية مراسل صحفي ثم يقومون بتهديد حكّام المقاطعات المحلية الصغيرة بفضحهم، ولكنني لم أكن قد قابلت أيًا منهم. إنهم يعيشون حياة صعبة وغالبًا ما يموتون فجأة. ترتعد المقاطعات المحلية خوفًا من الصحافة الإنجليزية، التي يمكن أن تُلقي الضوء على أساليب الحكم الغريبة في تلك المقاطعات، الأمر الذي يدفع الحكام هناك إلى إغراق المراسلين بالشمبانيا أو إبهارهم حتى الجنون بالعربات التي تجرها أربعة خيول. إن أولئك الحكام لا يعرفون أن لا أحد يهتم بأساليب إدارتهم الداخلية للمقطاعات المحلية طالما أن الاضطهاد والجريمة موجودين في حدود معينة، وطالما أن الحاكم ليس مخدرًا أو مخمورًا أو مريضًا طوال العام. لقد أوجدت العناية الإلهية تلك المقاطعات المحلية من أجل توفير مشاهد جميلة ونمور وحكايات خرافية، كما أنها أماكن مظلمة في الأرض تملؤها قسوة لا يمكن تخيلها، تضع تلك

المقاطعات ساقًا في السكك الحديدية والتلغراف من جهة، ومن الجهة الأخرى تضع الساق الثانية في عصر هارون الرشيد.

بعد أن غادرت القطار، قمت بالكثير من الأعمال مع ملوك متنوعين، وفي ثمانية أيام فقط مررت بتغيرات كثيرة. لبست في بعض الأحيان جلباب، وصاحبت أمراء وسياسيين، شربت في كؤوس كرستالية، وأكلت في أطباق من فضة. وأحيانًا ما كنت استلقي على الأرض وابتلع كل ما أمكنني الحصول عليه من طبق مملوء بحلوى مصنوعة من الشوفان، وأشرب من الماء الجاري، وأنام تحت الغطاء نفسه مع الخادم. كان كل هذا يحدث في اليوم ذاته!

ثم توجهت إلى الصحراء الهندية الكبيرة في الموعد المحدد كما وعدت، أوصلتني عربة البريد الليلية إلى التقاطع في ماروار حيث يقود رجل محلي ضئيل ومضحك قطارًا يتجه إلى جودهابور. يتوقف قطار بريد دلهي لوقت قصير في ماروار. وصل القطار بمجرد دخولي للمحطة وكان لدي ما يكفي من الوقت للوصول إلى الرصيف والبحث في العربات. لا يوجد إلا عربة واحدة للدرجة الثانية. فتحت النافذة فرأيت لحية حمراء مثل اللهب، نصفها مغطى ببطانية. كان

ذلك الشخص النائم هو الرجل الذي جئت من أجله، نكزته في صدره فاستيقظ وأصدر صوتًا مثل صوت الخنزير، رأيت وجهه في ضوء المصباح، كان وجهًا ضخمًا ولامعًا.

قال: "التذكرة؟ مرة أخرى؟"

قلت: "لا، أنا هنا لأخبرك أنه ذهب جنوبًا لأسبوع، ذهب جنوبًا لأسبوع!"

بدأ القطار في التحرك. فرك الرجل ذو اللحية الحمراء عينيه وردد: "ذهب جنوبًا لأسبوع، بالطبع، هذا متوقع من شخص في مثل وقاحته. هل قال إنني سأعطيك شيئًا؟ لأنني لن أعطيك شيئًا".

قلت: "لا، لم يقل هذا". وابتعدت عن النافذة مشاهدًا الضوء الأحمر وهو يخبو في الظلام. كان الجو باردًا للغاية وكانت الرياح تثير الرمال. صعدت إلى قطاري، لم تكن عربة الدرجة الوسطى تلك المرة، وذهبت للنوم مباشرة.

لو أن الرجل ذا اللحية الحمراء منحني روبيه لكنت احتفظت بها تذكارًا لذلك الموقف الغريب، ولكن إرضاء

ضميري بإتمام المهمة التي وعدت بها، كان المكافأة الوحيدة التي حصلت عليها.

فكرت لاحقًا أن رجلين مثل صديقيّ هذين سيتسببان في الكثير من المشكلات لو اجتمعا وانتحلا شخصية مراسل صحفي، وربما يورطان نفسيهما في الكثير من الصعوبات الخطيرة لو علقا في إحدى مقاطعات وسط الهند الصغيرة أو مقاطعات جنوب راجبوتانا التي تشبه مصائد الفئران. لذلك قررت أن أبذل مجهودًا في توصيفهما بدقة بمقدار ما أتذكر لكل الناس الذين قد يهتمون بترحيلهما، وبالفعل نجحت، فقد تم إخباري لاحقًا أنهما مُنعا من دخول حدود ديجامبر.

أصبحت بعدها رجلًا محترمًا، وتم إعادتي إلى وظيفة مكتبية حيث لا يوجد ملوك أو حوادث ما عدا تجهيز الصحيفة اليومية. يبدو أن مكاتب الصحف تجذب إليها كل أنواع البشر، ربما لمكانة المهنة المرموقة، مثلًا تطلب نساء إرسالية زينانا التي بدأت نشطاها حديثًا أن يتوقف المحرر عن واجباته كلها لكي يصف مسابقة مسيحية تقيمها الإرسالية في أحد أحياء قرية نائية، لا يمكن الوصول إليها، وتبدأ مجموعة من الكولونيلات المتقاعدين في وضع مخططات لسلسلة من عشرة مقالات أو اثنتى عشرة أو أربع

عشرة مقالة عن النقاش القائم حول موضوع الأقدمية مقابل الانتخاب، ويريد رجال الإرسالية أن يستخدموا قلم المحرر ويتخفوا وراء "نحن" التحريرية المبهمة ليعرفوا السبب وراء عدم السماح لهم باستخدام أساليب الاضطهاد المعتادة نفسها، وسب رجال الإرسالية الآخرين، وتحاول مجموعة مسرحية متجولة شرح عدم تمكنها من دفع رسوم الإعلانات على صفحات الجريدة وتعد بدفع كامل المستحقات مع الفوائد بعد عودتها من نيوزيلندا أو تاهيتي، ويأتي مخترعو آلات تشغيل المراوح اليدوية المسجلة ومرابط عربات القطار ومحاور العجلات التي لا تكسر بكراسات المواصفات في جيوبهم ووقت فراغ يريدون تقضيته، ويدخل مندوبو شركات الشاي لشرح عروضهم بالتفصيل، وتجلب سكرتيرات حفلات الرقص الكثير من الضجيج لتأكيد نشر تفاصيل الحفلات الراقصة ومباهجها، وتدخل سيدات غريبات يقولن: "أريد طباعة مئة كارت فورًا، لو سمحت" كما لو أن ذلك إحدى مهام المحرر بكل تأكيد! ويطلب أكثر الخارجين عن القانون عزلة ممن وطئت أقدامهم طريق الترنك الكبير وظيفة تصميم المسودات. كل ذلك، وجرس الهاتف لا يكف عن الرنين طوال الوقت، وملوك يتم قتلهم في القارة الأوروبية وإمبراطوريات تتشاجر فيما بينها وتقول: "أنتم التالون"، والسيد جلادستون(2) يستجلب الخراب على

الأراضي البريطانية، والأطفال السود الذين يقومون بالنسخ يشتكون من العمل مثل نحل مرهق، ومعظم الصحيفة لا يزال فارغًا تمامًا.

على الرغم من كل ذلك، فإن هذا هو النصف المسلي من العام، فهناك الستة شهور الأخرى حين لا يأتي أي شخص ويرتفع مؤشر مقياس درجة الحرارة تدريجيًا حتى يصل إلى أقصى درجاته، فيتم إطفاء الإضاءة في المكتب إلا من إنارة خفيفة تكفي للقراءة، وتسخن آلات الطباعة، ولا يكتب أحد إلا عن الحفلات والترفيه على التل(3)، أو بيانات النعي ومواعيد القطارات. وفي تلك الشهور يصبح جرس الهاتف نذير شؤم إذ يعني أن أحدهم قد توفى فجأة، ربما رجل أو امرأة تعرفهم عن قرب، فتجلس ودرجة الحرارة المرتفعة تغطيك مثل رداء لتكتب: "ارتفاع صغير ومتقطع في معدلات المرض في منطقة خودا جانتا خان، وقد تم احتواء الموقف بفضل الجهود المكثفة التي بذلتها السلطات المحلية، ولكننا ببالغ الأسى نسجل وفاة الآتي أسماؤهم،... إلخ".

سينتشر المرض بعد ذلك بالفعل ولكن التقارير ستقل من أجل سلام وراحة القراء. وستبقى الإمبراطوريات والملوك على حالها من الأنانية، ولكن رئيس الصحيفة سيفكر أن

صحيفة يومية يجب أن تصدر مرة واحدة فعلًا كل أربعٍ وعشرين ساعة، والناس على التل وسط كل تلك الرفاهية سيقولون: "ما هذا! لما لا تنقل الصحيفة كل تلك الأخبار المبهجة خصوصًا أن هناك الكثير مما يحدث هنا؟".

كان ذلك هو النصف المظلم من القمر، وكما تقول الإعلانات "لا بد من تجربته حتى يتسنى لنا تقديره".

في هذا الموسم بالتحديد، ويا له من موسم سيئ بشكل واضح، بدأت الصحيفة في إصدار آخر أعداد الأسبوع في وقت متأخر من مساء السبت، أو صباح الأحد مبكرًا ، كما هي العادة التي تتبعها الصحف في لندن. كان ذلك قرارًا ملائمًا جدًا، فبعد أن يتم الانتهاء من عمل الصحيفة، تهبط درجات الحرارة فجرًا من 36 درجة إلى 29 لمدة نصف ساعة وفي ذلك الجو المنعش – لا يمكنكم تصور كم هي درجة منعشة وباردة حتى أنكم تبدأون في الدعاء تمنيًا لها - يمكن لشخص منهك الذهاب إلى السرير قبل أن تعاود درجات الحرارة في الارتفاع فيصبح من المستحيل أن ينام.

في أحد أيام السبت، كنتُ مسئولًا وحدي عن تجهيز الصحيفة. يجب على الصحيفة أن تظل جاهزة حتى آخر

دقيقة ممكنة قبل الطباعة لاستقبال التلغراف الذي يحمل خبر موت ملك أو أحد النبلاء أو رجال البلاط، أو خبر إعلان إحدى الدول في الجانب الآخر من العالم عن دستور جديد، أو القيام بأمر مهم. كانت ليلة حالكة الظلام وخانقة كما هي ليالي شهر يونيو، وكانت الرياح الشرقية تهب خلال غصون الأشجار الجافة وكأن المطر على وشك السقوط. كانت تسقط قطرة ماء يكاد يكون مغلي من حين لآخر على التراب مع قفزات الضفادع، لكن عالمنا المتعب كله يعرف أن ذلك كان مجرد تظاهر بالمطر. كانت هناك نسمة هواء أبرد في غرفة الطباعة من تلك النسمة في المكتب، فجلست هناك بينما تصدر الآلات أصوات التكتكات وتصيح الطيور الليلية عند النافذة، ويمسح الجميع العرق عن رؤوسهم ويطلبون الماء ما عدا الكتبة على الآلات الكاتبة، الذين خلعوا ملابسهم. لم يقع الحدث الذي كان من شأنه أن يعطلنا، فقد اكتمل إعداد الصحيفة وخفت الرياح الاستوائية الحارة، وتوقف كل شيء في الأرض بأكملها في هذا الحر الخانق ووضع إصبعه على شفته في انتظار وقوع أمر ما. كنتُ أريد النوم، ورحت أفكر فيما إذا كان التلغراف اختراع جيد أم لا، وإذا كان الرجل المحتضر أو الشعب الذي يعاني يعرف أي إرهاق يسببه التأخير في العمل! لم يكن هناك أي سبب للتوتر غير الحر والإرهاق، وبينما تزحف عقارب الساعة في اتجاه الثالثة،

بدأت الآلات في إدارة عجلاتها المحلقة مرتين أو ثلاثة لتأكيد أن كل شيء على ما يرام، وقبل أن ألفظ بالكلمة التي من شأنها البدء في إدارة الآلات لتقوم بعملها، صرخت بصوت مرتفع.

صوت أزيز عجلات الآلات فجر الهدوء إلى شظايا صغيرة. قمت استعدادًا للذهاب، ولكن رجلين في ملابس بيضاء كانا واقفين أمامي. قال الأول: "إنه هو!" وقال الثاني: "إذن ها هو!" وضحك كلاهما بصوت عالٍ يكاد يكون في ارتفاع صوت الآلات نفسه، ومسحا على مقدمة رأسيهما. قال الأصغر حجمًا فيهما: "لقد رأينا ضوءًا لامعًا عبر الطريق بينما كنا نائمين في هذا المصرف هناك، طلبًا للانتعاش، فقلت لصديقي هذا: إن المكتب مفتوح، دعنا نذهب ونتحدث إليه فهو السبب وراء طردنا من مقاطعة ديجامبر". كان هذا هو الرجل الذي قابلته في قطار مهو، ورفيقه كان الرجل الآخر ذا اللحية الحمراء الذي قابلته في تقاطع ماروار، لم يكن هناك سبيل للتشكيك في هويتهما، كيف يمكن للمرء أن يخطئ حاجب هذا أو لحية ذلك.

لم يسرني لقاؤهما لأنني كنت أريد الذهاب إلى النوم وليس الشجار مع المستكعين، سألتهما: "ماذا تريدان؟"

قال الرجل ذو اللحية الحمراء: "لنتحدث نصف ساعة في مكتبك البارد والمريح، ولتدعونا لتناول مشروبًا – العقد لم يبدأ بعد يا بيتشي، لا داعٍ للنظر فيه الآن – على أية حال ما نريده حقًا هو نصحية، نحن لا نريد مالًا. نطلب منك خدمة مقابل الفعل السيئ الذي ارتكبته في حقنا".

قدتهما من حجرة الطباعة إلى المكتب الخانق الذي تغطي حوائطه الخرائط، فرك الرجل ذو الشعر الأحمر كفيه وقال: "هذا الأمر يشبه...، هذا هو المكان الملائم فعلًا، الآن، دعني أقدم لك يا سيدي الأخ بيتشي كارنيهان، هذا هو، والأخ دانيال درافوت، هذا أنا، ومن الأفضل ألا تعرف أكثر عن مهنتنا، لأننا عملنا في جميع أنواع المهن؛ جنود، بحارة، كتبة، مصورون، مصممو مسودات، خطباء في الشوارع، مراسلون لصحيفة رجل الغابات البدائي عندما ظننا أن الصحيفة في حاجة إلى مراسلين. كارنيهان ليس مخمورًا، وكذلك أنا. انظر إلينا أولًا وتأكد أننا لسنا مخمورين. سيوفر ذلك عليك الكثير من المقاطعات. سوف نأخذ سيجارًا منك وسوف ترانا نشعله". تابعت هذا الاختبار، وكان الرجلان بالفعل غير مخمورين، فأعطيت كل منهما كأسًا باردًا.

قال كارنيهان صاحب الحاجبين ماسحًا شاربه: "حسن

جدًا، دعني أتحدث الآن يا دان. لقد زرنا جميع أنحاء الهند، غالبًا مشيًا على الأقدام. لقد عملنا عمال صيانة مولدات، وسائقي سيارات، ومقاولين، كل ذلك، وقررنا في النهاية أن الهند ليست كبيرة بما يكفي لأمثالنا".

لقد كانا بالفعل أكبر من أن يحتويهما المكتب. لحية درافوت كانت وحدها تملأ نصف الحجرة، وكتفا كارنيهان يملأن النصف الآخر، بينما كانا يجلسان على الطاولة الكبيرة. أكمل كارنيهان حديثه: "إن البلد غير مستغل لأن الذين يحكمونه لن يدعوك تلمسه. إنهم يمضون كل أوقاتهم الجيدة في حكمه وليس باستطاعتك رفع مجرفة أو نحت صخرة، ناهيك عن إنشاء جيش وتدريبه أو أي شىء آخر من هذا القبيل دون أن تجد الحكومة كلها تقول: اتركه وشأنه، ودعنا نحكم. ولذلك، وكما هو الحال، فإننا سنتركه وشأنه ونذهب إلى مكان آخر؛ حيث يوجد رجال غير ممتلئين بتلك الأفكار ويمكنهم أن يصبحوا ما يريدون. نحن لسنا جبناء، ولا يوجد ما نخشاه، ما عدا الخمر، لذلك وقعنا عقدًا فيما بيننا ينص على ذلك. إذن، نحن ذاهبان لنصبح ملكين".

تفوه درافوت: "ملوك بأنفسنا وعلى طريقتنا".

قلت: "نعم، بكل تأكيد. يبدو أنكما قضيتما الكثير من الوقت في الشمس، كما أنها ليلة حارة جدًا، أليس من الأفضل أن تناما الليلة وتفكرا في تلك الفكرة جيدًا؟ احضرا غدًا"..

قال درافوت: " نحن لسنا مخمورين أو مصابين بضربة شمس، ولقد منحنا تلك الفكرة نصف سنة كاملا للتفكير وبحثنا في الكتب والخرائط، وقررنا أن هناك مكانًا واحدًا الآن في هذا العالم حيث يمكن لرجلين قويين مثلنا أن يصبحا حاكمين، يُسمى هذا المكان كافرستان. تقع تلك المنطقة بحسب أبحاثي في الركن الأعلى على اليمين من أفغانستان، على بعد حوالي 300 ميل من بيشاور. يعبدون هناك اثنين وثلاثين إلهًا، ونحن سنصبح الإله الثالث والثلاثين. إنه بلد جبلي ونساؤه في غاية الجمال".

قال كرنيهان: "ولكن العقد ينص على عدم فعل ذلك يا دانيال؛ لا نساء ولا خمور".

"وهذا هو كل ما نعرفه عن المنطقة، فلا أحد من قبل ذهب إلى هناك. نعرف فقط أنهم يتقاتلون، وفي أي مكان فيه قتال يمكن للرجل الذي يستطيع أن يدرب الجنود أن يصبح ملكًا، سنذهب إلى هناك ونقول لأي ملك نجده: هل تريد أن تمحو

أعداءك؟ ونعلمه كيف يقوم بتدريب جنوده لأننا نعرف عن ذلك أكثر مما نعرف عن أي شيء آخر، ثم نُسقِط هذا الملك ونستولي على عرشه ونؤسس سلالة ملكية".

قلت: "سوف يتم تقطيعكما قبل أن تتمكنا من الذهاب 50 ميلًا بعد الحدود، لا بد أنكما ستسافران عبر أفغانستان لتصلا إلى ذلك البلد، إنها كتلة هائلة من الجبال والقمم والثلوج ولم يتمكن أي إنجليزي من اختراقها من قبل. الناس هناك وحوش.. حتى لو وصلتما إليهم لن تتمكنا من فعل أي شيء".

قال كارنيهان: "هذا الأمر يشبه... إذا كان في مقدورك الاعتقاد أننا أكثر جنونًا من هذا، فسوف يسرنا الأمر أكثر. لقد جئنا إليك كي نعرف أكثر عن تلك البلد، لنقرأ كتابًا عنها، ونرى خرائط. نريدك أن تخبرنا أننا أغبياء وتُرينا كتبك" ثم استدار ناحية حقائب الكتب.

قلت: "هل أنت حقًا جاد فيما تقول؟"

قال درافوت بلطف: "رويدًا، دعنا نرى أكبر عدد من الخرائط الموجودة لديك ، حتى لو لم يكن مبين عليها مكان

كافرستان، ودعنا نقرأ أي كتب لديك، فنحن نستطيع القراءة على الرغم من أننا لم نتعلم جيدًا".

فتحت خريطة عملاقة للهند مقياس رسمها 32 ميلًا للبوصة، وخريطتين صغيرتين للحصون الحدودية، وجذبت المجلد الثالث عشر من النسخة التاسعة من موسوعة المعارف البريطانية، فقام الرجلان بالانغماس في فحصها.

قال درافوت بينما يمرر إصبعه على الخريطة: "انظر هنا! أنا وبيتشي نعرف الطريق خلال جاجدالاك، فقد كنا هناك جنودًا في جيش روبرتس(4). ثم توغلنا أكثر بين التلال، أربعة عشر ألف قدم - أو خمسة عشر ألف - سيكون عملًا باردًا هناك، لكنها لا تبدو بعيدة جدًا على الخريطة".

أعطيته كتاب وود عن منابع نهر أكسوس(5)، فقد كان كارنيهان منغمسًا كليةً في الموسوعة.

قال درافوت متأملًا: "إن الأمور مختلطة جدًا ولن يساعدنا هذا على معرفة أسماء القبائل. كلما زادت القبائل، كثر القتال، وأصبح الوضع لصالحنا. من جاجدالاك إلى آشانج. همم!".

ولكنني اعترضت قائلًا: "إن كل المعلومات المتاحة عن البلد غامضة وغير صحيحة، لا أحد يعرف أي شيء على وجه الدقة عن تلك المناطق. ها هو ملف معهد الخدمات المتحد (6)، اقرآ ما كتبه بيلو"(7).

قال كارنيهان: "دعك من بيلو! إنهم جميعًا وثنيون يا دانيال.. لكن هذا الكتاب يقول إنهم أقارب لنا نحن الإنجليز".

كنت أدخن والرجلان منهمكان في قراءة كتب رافرتي وود والخرائط وموسوعة المعارف البريطانية.

قال درافوت بأدب: "إنها الرابعة فجرًا الآن؛ لا داعٍ لأن تبقى منتظرًا، إذا كنت تريد الذهاب إلى النوم، سوف نرحل في السادسة ولن نسرق أيًا من أوراقك. لا تبقَ متيقظًا فنحن رجلان مجنونان. إن جئت مساء الغد إلى السراي فيمكنك تودعينا هناك"

أجبته: "أنتما غبيان، سوف يتم إعادتكما فور وصولكما إلى الحدود أو سيتم توقيفكما في اللحظة التي ستضعان فيها أقدامكم في أفغانستان. هل تريدان أي مال أو توصية في ذلك الجزء من البلد؟ يمكنني أن أساعدكما في إيجاد فرص

عمل الأسبوع القادم"

قال درافوت: "الأسبوع القادم سنكون مشغولين في العمل الذي قررنا أن نقوم به، شكرًا لك. ليس من السهل أن تكون ملكًا كما يبدو، سوف ندعك تعرف فور أن تصبح مملكتنا منتظمة ويمكنك أن تأتي حينها وتساعدنا في حكمها".

قال كارنيهان بفخر مكبوت بينما يريني نصف صحيفة ورق مغطاة بالشحم: "هل بإمكان غبيين القيام بعقد اتفاق مثل هذا!" قمت بنسخ المكتوب في تلك الورقة كنوعٍ من الفضول:

هذا العقد بيني وبينك، نبرمه والله شاهد علينا، آمين. وبناءً عليه؛

(أولاً) سيقوم كلانا بإتمام تلك المهمة معًا، وهي: أن نصبح ملكي كافرستان.

(ثانيًا) سوف يمتنع كلانا في مدة إتمام تلك المهمة عن النظر إلى الخمر أو النساء من أي لون أو عرق، أسود أو أبيض أو خمري، فإن الاختلاط بأي من هذين الأمرين على أي نحو

خطير.

(ثالثًا) سوف يحافظ كلٌّ منا على كرامته وتعقله، وفي حال وقع أيٌّ منا في مشكلة سوف يبقى الآخر بجواره ليساعده.

مرسوم بتوقيعي وتوقيعك

بيتشي تاليافيرو كارنيهان

دانيال درافوت

رجلان محترمان

قال كارنيهان بينما تتورد وجنتاه قليلًا: "لا داعٍ لهذا البند الأخير، ولكنه يبدو عاديًا على أية حال. أنت الآن تعرف أي نوع من الرجال هم المتسكعون، نحن متسكعان، يا دان، حتى نخرج من الهند. وهل تعتقد أن بإمكاننا حقًا إبرام هذا الاتفاق لو أننا لم نكن جادين؟ لقد اتفقنا على الابتعاد عن الأمرين اللذين يجعلان الحياة تستحق أن تُعاش"!

قلت: "لن تستمتعا بتلك الحياة طويلًا إن قررتما الاستمرار

في القيام بتلك المغامرة الغبية. لا تحرقا المكتب قبل أن تذهبا قبل التاسعة صباحًا".

تركتهما منغمسين في قراءة الخرائط ويكتبان الملاحظات على ظهر ورقة العقد. كانت كلماتهما الأخيرة قبل أن أخرج: "تعالَ غدًا إلى السراي، كي نودعك قبل رحيلنا".

سراي كومهارسين عبارة عن أربعة ميادين، وهي حوض البشرية، حيث يتم تحميل حمولات الجمال وتفريغها، وكذلك الأحصنة القادمة من الشمال. يوجد هناك جميع أنواع البشر والجنسيات من وسط آسيا والهند: بلخ وبخارى يقابلان هناك البنجال وبومباي، ويحاول الجميع الحصول على تجارة رابحة وأسعار زهيدة. يمكنك هناك في سراي كومهارسين شراء الأمهار وأحجار الفيروز والقطط الفارسية والخراف والمسك والحقائب التي تُربط على سروج الخيول، أو الحصول على أي شيء غريب آخر مقابل ثمن زهيد. ذهبت إلى السراي في وقت ما بعد الظهيرة لأرى إن كان صديقاي بالفعل ينويان القيام بخططتهما أم كانا فقط مخمورين يهذيان.

رأيت درويشًا ماشيًا نحوي مرتديًا قطع قماش وأشرطة،

ويقوم ببرم صحيفة أطفال بغضب، وخلفه يمشي خادمه منحنيًا تحت ثقل صندوق مملوء بألعاب من الطين. كان الرجلان يقومان بتحميل جملين بينما ينظر إليهما الناس في السراي ويضحكون بصوت مرتفع.

قال لي تاجر خيول: "هذا الدرويش مجنون، إنه ذاهب شمالًا إلى كابول لكي يبيع تلك الألعاب للأمير هناك، سيجلب هذا الأمر له شرفًا عظيمًا أو سيتسبب في قطع رأسه. لقد وصل إلى هنا هذا الصباح وظل يتصرف بطريقة مجنونة للغاية منذ لحظة وصوله".

تهته رجل أوزبكي مسطح الخدين بلغة هندية ضعيفة "إن الله يحمي المجاذيب، إنهم يتنبئون بالمستقبل".

صرخ رجل من قبيلة يوسفزي يعمل مندوبًا لشركة تجارة في راجبوتانا: "هل كان بإمكانهم أن يتنبأوا بأن قافلتي سيقوم رجال قبيلة شينوار بنهبها أثناء عبورها من الممر"! كانت بضاعته قد تم نهبها بشكل شرير وبيعها إلى لصوص آخرين قبالة الحدود، وكان حظه السيئ هذا مثارًا للسخرية والضحك في السوق: "إهي، أيها الدرويش، من أين جئت وإلى أين تذهب؟"

صرخ الدرويش ملوحًا بلفافة الورق التي كان ممسكًا بها: "لقد جئت من تركيا، دفعتني من تركيا أنفاس مئة شيطان عبر البحر. أيها اللصوص والسارقين، فلتحل لعنة بير خان(8) على الخنازير والكلاب والشاهدين زورًا! من سيأخذ المحمي من الله إلى الشمال كي يبيع تلك الأشياء الساحرة التي لا تنضب للأمير؟ من يمنحني مكانًا في قافلته لن يصيب جماله التعب، ولن يمرض أبناؤه، وستحفظ زوجته شرفه في غيابه. من سيساعدني في ضرب ملك الروس بالقباقيب الذهبية ذات الكعوب الفضية؟ فلتحل بركة بير خان على أعماله!".

قال تاجر يوسفزي: "هناك قافلة ستنطلق من بيشاور إلى كابول بعد عشرين يومًا يا حضرة، سوف ترحل جمالي معها، هل تريد أن تأتي معنا وتجلب لنا الحظ الجيد؟"

صرخ الدرويش سوف أذهب الآن! سوف أرحل على متن جملي الطائر، وأصل إلى بيشاور بعد يوم واحدا!" ثم صرخ في خادمه: "هوا استعد يا مير خان، أخرج الجمال ولكن دعني امتطي جملي أولًا".

قفز على ظهر جمله الجالس على الأرض والتفت ناحيتي ثم صرخ: "تعال أنت أيضًا يا صاحب، تعال قليلًا إلى الطريق وسوف أبيع لك أحد تلك الأشياء الساحرة، تميمة ستجعل منك ملك كافرستان".

أدركت الموقف أخيرًا فتتبعت الجملين وهما يخرجان من السراي حتى وصلنا إلى الطريق المفتوح فتوقف الدرويش.

قال بالإنجليزية: "ما رأيك في هذا؟ كارنيهان لا يستطيع التحدث بلغتهم فجعلت منه خادمي، كم هو خادم جميل! لم يكن تجوالي في البلد لمدة أربعة عشر عامًا بلا فائدة. ألم أقم بهذا الدور بشكل محكم؟ سوف نرتحل مع تلك القافلة من بيشاور حتى نصل إلى جاجدالاك، ثم نحصل على بعض الحمير بدلًا من جمالنا ونتجه إلى كافرستان. ونبدأ في المشى خلال تلك المتاهات إلى الأمير، أوو! ضع يدك تحت حقيبة الجمل تلك وأخبرني ماذا تحسست؟"

تحسست حزام بندقية مارتيني، وأخرى وأخرى.

قال درافوت بهدوء: "عشرون من تلك البنادق"

"عشرون بندقية وذخيرة كافية لهذا العدد تحت تلك الألعاب الطينية واللفائف"

قلت: "لتكن السماء في عونكماإذا تم القبض عليكما بهذه الأشياء! تقدّر قبائل البشتون ثمن تلك البندقية بمقدار وزنها ذهبًا".

قال درافوت: "ألف وخمسمئة روبيه هو كل ما استطعنا أن نستجديه أو نقترضه أو نسرقه، استثمرناها كلها في هذين الجملين. لن يتم القبض علينا فنحن سنسلك ممر خيبر برفقة قافلة عادية. من ذا الذي يتعرض لدرويش مجنون وفقير؟"

قلت وقد غمرتني الدهشة: "هل لديكم كل ما تحتاجون إليه؟"

"ليس بعد، ولكننا سنحصل على كل ما نريد قريبًا. أعطينا تذكارًا منك أيها الأخ الطيب، لقد قدمت لنا خدمة أمس وفي ذلك اليوم في ماروار. وكما تقول المقولة الشهيرة: لك نصف مملكتي". سحبت بوصلة صغيرة، كنت أعلقها في سلسلة الساعة كتميمة حظ، ودفعت بها إلى الدرويش.

مد درافوت يده بحذر ليسلم عليّ وقال: "وداعًا، إنها المرة الأخيرة التي سأسلم فيها على رجل إنجليزي، سلم على الرجل يا كارنيهان"، كان يصرخ مناديًا على صديقه بينما الجمل الذي يحمله يمر خلفي.

مال كارنيهان ومد يده ليسلم عليّ، ثم مر الجملان وسلكا الطريق المغطى بالغبار ووقفت وحدي أفكر متعجبًا. لم تتمكن عيناي من ملاحظة أي عيب في التخفي، فالمشهد في السراي كان دليلًا على أنهما يجيدان دور المحليين بالكامل حتى أن المحليين أنفسهم لم يكشفوا أمرهما. كانت هناك فقط احتمالية أن يتمكن كارنيهان ودرافوت فعلًا من التجول بحرية خلال أفغانستان دون أن يتم القبض عليهما، ولكن بعد ذلك سيجدان الموت في انتظارهما، الموت المريع المؤكد.

بعد عشرة أيام أرسل إليّ أحد الأصدقاء المحليين خطابًا من بيشاور ينقل فيه أخبار المدينة، ختم هذا الصديق خطابه بالآتي: "لقد أثار درويش مجنون الكثير من الضحك هنا، حيث ادعى أنه ذاهب إلى سمو أمير بخارى ليبيع له بعض الحُلي التافهة والمجوهرات عديمة القيمة مُدّعيًا أنها تمائم. مر هذا الدرويش من بيشاور وقال إنه يسافر مع قافلة

الصيف الثانية المتجهة إلى كابول. يبدو التجار مسرورين بوجوده لأنهم يعتقدون في الخرافات القائلة بأن أمثال هؤلاء الدراويش المجانين يجلبون الحظ الجيد".

إذن.. لقد عبرا الحدود بالفعل، كدت أن أدعو لهما لولا أن ملكًا حقيقيًا مات في أوروبا تلك الليلة مما استدعى كتابة نعي.

***

إن عجلة العالم تدور في الدوائر نفسها مرارًا وتكرارًا. مرّ الصيف وجاء بعده الشتاء وذهب وجاء من جديد، واستمرت الصحيفة اليومية في الصدور واستمررت في عملي فيها، وفي ليلة حارة في الصيف الثالث وأثناء إعداد الطبعة المسائية وانتظار أن يحمل التلغراف أي أخبار من الجانب الآخر من العالم، تمامًا كما حدث في تلك الليلة السابقة التي زاراني فيها. بعض الرجال العظماء ماتوا خلال العامين الماضيين وكانت الآلات تعمل بالمزيد من الضوضاء، وبعض الأشجار في حديقة المكتب قد زاد طولها بعض أقدام، كانت تلك فقط هي الأمور التي اختلفت.

اتجهت إلى غرفة الطباعة، فكان المشهد تمامًا كما وصفته سابقًا، غير أن التوتر والاضطراب كان أشد مما في تلك الليلة قبل عامين، وشعرت أكثر بالحر. في الثالثة، صرخت "ابدأوا الطباعة" واستدرت استعدادًا للمغادرة عندما لمحت بقايا إنسان تزحف على الكرسي. كان متكورًا على شكل دائرة، ورأسه قد غاصت بين كتفيه بينما يحرك قدمه واحدة فوق الأخرى مثل دب. لم أتمكن من معرفة إن كان يمشي أو يزحف، خاطبني هذا المعوق الباكي والمغطى بالأسمال بالاسم صارخًا أنه قد عاد. قال بصوت يبدو عليه أثر البكاء: "هل من الممكن أن تعطيني شرابًا؟ بالله عليك أعطني شرابًا"!

عدت إلى المكتب بينما تبعني هذا الرجل صارخًا من الألم. أشعلت النور.

قال محاولًا التقاط أنفاسه وهو يلقي بنفسه على الكرسي: "ألا تعرفني؟"، وأدار وجهه الشاحب المحاط بشعر رمادي في اتجاه النور.

نظرت إليه بتمعن. لم أكن قد رأيت حاجبين كهذين، يلتقيان فوق الأنف في خط كثيف بعرض بوصة، إلا مرة

واحدة فقط، لكنني لم أتمكن قط من تذكر أين رأيت هذا المنظر من قبل.

قلت بينما أمرر له كأس الويسكي: "أنا لا أعرفك، ما الذي يمكنني فعله لك؟"

شرب رشفة من الكأس دون أن يضيف إليه أي شيء وارتجف على الرغم من الحر الخانق.

ردد: "لقد عدت، كنت ملك كافرستان، أنا ودرافوت، كنا ملكين متوجين! كنا هنا في هذا المكتب حين اتفقنا، وكنت أنت تجلس هناك وتعطينا الكتب. أنا بيتشي - بيتشي تاليافرو كارنيهان، أنت بقيت هنا طوال هذه المدة منذ تلك الليلة، يا إلهي!".

كنت بالفعل أكثر من مجرد مندهش وعبرت عن مشاعري تلك بكل صراحة.

قال كارنيهان بصوت يشبه زُقاء الدجاج وهو يعتني بقدمه المربوطة في قماش: " نعم، إنه أمر حقيقي، حقيقي كالإنجيل، كنا ملكين، والتاجان على رأسينا، أنا ودرافوت،

دان المسكين، أوه، دان المسكين، المسكين، لم يستمع لنصيحتي بالرغم من أنني توسلت إليه!"

قلت له: "خذ الويسكي، واهدأ قليلًا لا داعٍ للعجلة. أخبرني بكل ما تستطيع تذكره عن كل ما حدث منذ البداية حتى النهاية. لقد عبرتما الحدود على ظهر الجمال، درافوت متخفيًا في زي درويش مجنون وأنت خادمه. هل تتذكر هذا؟".

"أنا لست مجنونًا بعد، ولكنني سأصبح كذلك عما قريب. بالطبع أتذكر. انظر إليّ جيدًا حتى لا يصبح كلامي جملًا غير مترابطة. انظر إليّ، انظر في عيني ولا تتفوه بكلمة أبدًا"

ملت إلى الأمام ونظرت في عينيه بأكبر قدر أستطيعه من الثبات. وضع أحد ذراعيه على الطاولة وامسك بها بكفه. كانت أصابع كفه ملتوية كمخالب الطيور، وعلى ظهرها جرح أحمر مفتوح في شكل الماسة.

قال كارنيهان: "لا، لا تنظر هناك، انظر إليّ، قصة ذلك الجرح تأتي فيما بعد. بالله عليك لا تشتت انتباهي. لقد غادرنا بصحبة القافلة، أنا ودرافوت، وكنا نقوم بكل أنواع الحيل كي

نسلي هؤلاء الذين كنا معهم. يقوم درافوت بإضحاكنا كل مساء عندما يبدأون في إعداد العشاء - إعداد العشاء و... ما الذي كانوا يفعلونه حينها؟ كانوا يشعلون النار ويتطاير لهبها إلى لحية درافوت فنضحك جميعًا" أشاح بعينيه بعيدًا وابتسم في بلاهة.

قلت مجازفًا: "لقد وصلتم بالفعل حتى جاجدالاك مع هذه القافلة بعد أن أشعلتم تلك النيران. وهناك عند جاجدالاك اتجهتم إلى كافرستان كي تحاولوا دخولها".

"لا، لم نفعل ذلك أيضًا. ما الذي تتحدث عنه؟ لقد انفصلنا عن القافلة قبل جاجدالاك لأننا علمنا أن هناك طريقًا أفضل، ولكنه لم يكن أفضل بما يكفي للجملين، جملي وجمل درافوت. خلع درافوت ملابسه بعد أن تركنا القافلة، وطلب مني أن أخلع ملابسي وقال: يجب أن نصبح وثنيين، لأن الناس في كافرستان لا يسمحون للمسلمين بمخاطبتهم. وهكذا ارتدينا ملابس وسط بين هؤلاء وهؤلاء، لم أرَ في حياتي من قبل مشهدًا مثل دانيال درافوت في تلك اللحظة ولا أتوقع أن أرى شيئًا مماثلًا في المستقبل. كان قد أحرق نصف لحيته، وألقي بفرو خروف على كتفيه وقص شعر رأسه إلى أشكال. حلق شعري أيضًا وجلعني أرتدي ملابس

غريبة جدًا كي أبدو وثنيًا. كانت الجمال لا تستطيع التقدم في تلك البلاد الجبلية الوعرة، إنها أكثر البلاد الجبلية حدة. كانوا سودًا طوال القامة، لقد رأيتهم وهم عائدون إلى ديارهم يتشاجرون مثل ماعز وحشية، يوجد الكثير من الماعز في كافرستان. تلك الجبال! إنهم لا يتوقفون عن الحركة مطلقًا مثل الماعز. دائمًا ما يتشاجرون ولا يتركونك تنام في الليل".

قلت له ببطء: "خذ المزيد من الويسكي، ماذا فعلت أنت ودرافوت بعد أن أصبح من الصعب على الجمال التقدم في تلك الطرق الجبلية الوعرة التي تقود إلى كافرستان؟"

"من فعل ماذا؟ لقد كان هناك شخص يدعى بيتشي تاليافيرو كارنيهان بصحبة درافوت. هل أخبرك أكثر عنه؟ لقد مات هناك في العراء جراء البرد. لقد سقط بيتشي كبير السن من فوق الجسر، تلوى واستدار في الهواء مثل عملة ملفوفة يمكنك بيعها للأمير- لا؛ لقد كانت الثلاث لفافات بنصف مليم، هذه اللفائف، أم أنني مخطئ، وتملأني التقرحات المؤلمة. بعد ذلك أصبحت تلك الجمال بلا فائدة، وقال بيتشي لدرافوت: بالله عليك، لنتوقف عن ذلك الأمر قبل أن نتسبب في قطع رؤوسنا. بعد ذلك بدأوا في ذبح الجمال

واحدًا تلو الأخر طوال الطريق لأنهما لم يمتلكا أي شيئًا يأكلانه، لكنهما أنزلا البنادق والذخيرة أولًا حتى مر رجلان يقودان أربعة بغال. قام درافوت ورقص وغنى أمامهما قائلًا: بيعا لنا البغال. قال الرجل الأول: إذا كنت غنيًا كفاية لتشتري البغال، فأنت غنيٌ كفاية لتسرقها. ولكن قبل حتى أن يتمكن الرجل من الوصول إلى سكينه قام درافوت بكسر عنقه فهرب الرجل الآخر بعيدًا. قام كارنيهان بتحميل البنادق والذخيرة على البغال، وبدأنا معًا نتقدم أكثر في أعماق تلك الجبال القاسية الباردة، ولم يكن هناك أي طريق أو ممر أوسع من عرض الكف".

توقف لدقيقة فسألته إن كان بإمكانه تذكر طبيعة البلد التي ترحل فيه.

"إنني أخبرك بكل ما أستطيع أن أتذكره بأمانة شديدة ولكن رأسي ليست في حالتها الطبيعية كما كانت من قبل. لقد دقوا مسامير خلالها كي أتمكن من سماع درافوت وهو يموت بتلك الطريقة. كان البلد جبلي جدًا والبغال على عكس ذلك تمامًا، أما السكان فقد كانوا مبعثرين ومنعزلين. سلكوا طرقًا للأعلى وللأعلى وآخرى للأسفل وللأسفل. وكان كارنيهان يستجدي درافوت محاولًا إيقافه عن الغناء

والصفير بصوت مرتفع حتى لا تسقط علينا الجبال الثلجية العملاقة، ولكن درافوت كان يردد أن لو لم يكن بإمكان الملك أن يغني فهو لا يستحق أن يصبح ملكًا أبدًا، وظل يضرب البغال على مؤخراتها دافعًا إياها إلى التقدم ولم يأخذ أي استراحات خلال عشرة أيام باردة، حتى وصلنا إلى وادٍ كبير بين الجبال وكانت البغال على وشك الموت فقتلناها لأننا لم نمتلك ما نأكله أو نطعمه لها. جلسنا على الصناديق ورحنا نلعب "زوج أو فرد" بفوارغ الطلقات.

"ثم رأينا عشرة رجال يحملون أقواسًا وسهامًا ويركضون في الوادي خلف عشرين رجلًا يحملون أيضًا أقواسًا وسهامًا، كانت معركة عنيفة. كانوا رجالًا بيض، أكثر بياضًا مني ومنك، ولهم شعر أصفر وأجساد قوية بشكل لافت للنظر. قال درافوت بينما يحل بعض البنادق: هذه هي بداية العمل الذي جئنا من أجله، سوف نحارب مع هؤلاء الرجال العشرة. ثم أطلق طلقتين في اتجاه الرجال العشرين فسقط أحدهم على بعد مئة ياردة من الصخرة التي كنا نجلس عليها. ركض الرجال الآخرون ولكن كارنيهان ودرافوت بينما يجلسان على الصناديق ظلا يصوبان عليهم في جميع الاتجاهات، أسفل وأعلى الوادي. ذهبنا بعدها إلى العشر رجال الذين كانوا قد فروا عبر الثلج أيضًا فأطلقوا سهمًا نحيلًا في اتجاهنا. أطلق

درافوت رصاصة فوق رؤوسهم فسقطوا جميعًا على الأرض، مشى فوقهم وراح يضربهم بحذائه، ثم مد يده يساعدهم على النهوض وراح يسلم عليهم كي يطمئنوا.أعطاهم الصناديق ليحملوها، ولوّح بيده للعالم كأنه أصبح ملكًا بالفعل. حملوا الصناديق عبر الوادي ثم أعلى التل حيث دخلوا غابة نخيل فيها حوالي ستة أصنام حجرية، اتجه درافوت ناحية أكبرها ويدعى إمبرا ووضع البندقية والذخيرة تحت قدميه ثم مسح أنفه باحترام كبير ولمس رأسه وأدى التحية أمامه. التفت بعد ذلك وأومأ برأسه للرجال قائلًا: "هذا جيد. إنهم يعرفونني، هؤلاء المخابيل أصدقائي". فتح فمه وأشار إليه، وعندما أتى له شخص بطعام قال: لا، ثم أتى له آخر بطعام فقال: لا، ولكن حين أحضر له قائد القرية وأحد كهنتها الكبار طعامًا قال: نعم، وأكله ببطء. هكذا كان دخولنا للقرية الأولى دون أي متاعب وكأننا قد هبطنا من السماء، ولكننا في الواقع هبطنا من أحد تلك الجسور المعلقة بحبال، هل تفهم! لا يمكن أن تتوقع أن تضحك بعد ذلك".

قلت له: "اشرب المزيد وأكمل الحكاية، كانت تلك أول قرية تدخلانها، فكيف أصبحتما ملكين بعد ذلك؟"

قال كارنيهان: "لم أكن ملكًا، درافوت هو الذي صار ملكًا. كم كان منظره جميلا والتاج على رأسه وكل تلك الزينة. بقي هو وصاحبه في تلك القرية وكان درافوت كل صباح يجلس بجوار إمبرا ويأتي الناس ليتعبدوا، كانت تلك أوامر درافوت. جاء بعد ذلك رجال كثيرون إلى الوادي، فكان درافوت وكارنيهان يصوب عليهم بنادقه(9) فيركض هؤلاء الرجال في أرجاء الوادي قبل أن يكتشفوا مخبأه، ثم ينكفئون على وجوههم فيقول درافوت: أخبروني ما المشكلة بينكم وبين تلك القرية؟ فيشيرون إلى امرأة بيضاء تمامًا مثلي ومثلك، قد تم اختطافها، يعيدها درافوت إلى القرية الأولى ويبدأ في عد الموتى، كانوا ثمانية. يسكب درافوت قليلًا من الحليب على الأرض ثمانية مرات ويلوّح بيده ويقول: هذا جيد. أخذ درافوت وكارنيهان بيد قائدي القريتين إلى الوادي وطلبا منهما أن يرسما خطًا على أرض الوادي باستخدام درعيهما ومنح كل منهما بعضًا من الحشائش من كل جانب من الخط. جاء بعدها أهل القرية يهتفون مثل الشياطين فقال درافوت: اذهبوا واحفروا الأرض وآتوني بالخير الوفير" فذهبوا بالرغم من أنهم لم يفهموا! بدأنا نسألهم عن أسماء الأشياء في لغتهم، الخبز والماء والنار والأصنام وما إلى ذلك. أخذ درافوت قائدي القريتين إلى الأصنام شمال القرية وقال إنه سيجلس هناك ليحاكم الناس وأن من يرتكب خطأً يُضرَب

بالنار.

خلال الأسبوع التالي، كان الجميع يعمل في الوادي بصمت مثل النحل أو أجمل. كان الكهنة يستمعون إلى شكاوى الناس ويعرضونها على درافوت في عروض غبية. قال درافوت: تلك مجرد البداية، فهم يعتقدون أننا آلهة. اختار هو وكارنيهان عشرين رجلًا وعلماهم كيف يستخدمون البنادق وكيف يشكلون خطوطًا من أربعة أفراد ويتقدمون إلى الأمام في هذا التشكيل، كانوا سعداء بالقيام بالأمر وأذكياء بما يكفي ليفهموا كيف يقومون به. ترك درافوت غليونه في قرية وحافظة التبغ في القرية الأخرى ثم انطلقنا لنبحث عن وادٍ آخر ونرى ما يمكننا فعله فيه. كان الوادي التالي مليئًا بالصخر وفيه قرية صغيرة، قال كارنيهان: أرسلهم إلى القرية القديمة ليزرعوا الأرض. أخذهم كارنيهان إلى هناك وأعطاهم أرضًا لم يكن يمتلكها أحد، كانوا فقراء جدًا وقمنا بتعميدهم بدم(10) أحد الأطفال قبل أن نسمح لهم بالانضمام إلى المملكة الجديدة. كنا نقوم بذلك لنبهر هؤلاء المنضمين حديثًا فكانوا يستقرون حيث نخبرهم بلا متاعب، عاد كارنيهان بعد ذلك إلى درافوت فوجده قد دخل وادٍ جديد مغطى بالثلج وأكثر جبلية من سابقيه، لم يكن هناك أي بشر في ذلك الوادي مما أصاب الجيش بالرعب ولكن درافوت أطلق النار

على أحدهم واستمر في التقدم حتى وجد قرية صغيرة، قام أفراد الجيش بإخبار أهل القرية أنهم لن يقتلوا أيًا منهم طالما لم يقوموا بإطلاق بنادق البارود التي كانوا يمتلكون عددًا منها. أصبحنا أصدقاء للكاهن وبقيت معهم وحدي مع رجلين من الجيش كي أقوم بتدريبهم. جاء قائد إحدى القبائل، ضخم الجثة، وأحدث الكثير من الجلبة بالطبول والأبواق، لأنه سمع أن هناك إلهًا جديدًا في المنطقة. صوّب كارنيهان في منتصف جماعة الرجال القادمين عبر الثلج وأصاب أحدهم في ذراعه، ثم أرسل لقائدهم رسالة يقول له فيها إنه لو أراد ألا يُقتل فعليه أن يأتي بدون أي سلاح ليسلم عليه. جاء القائد وحده أولًا فسلم عليه كارنيهان ولوّح بيده كما كان يفعل درافوت فاندهش قائد القبيلة بشدة وضرب على حاجبي. ذهب كارنيهان بعدها إلى ذلك القائد وسأله إن كان لديه أعداء يكرههم، فأجابه القائد: "نعم، لديّ"، فاختار كارنيهان من بينهم أحسن الرجال وأمر رجلين من جيشه أن يقوما بتدريبهم، وبعد أسبوعين تمكن هؤلاء الرجال من القيام بمناورات كأبرع المتطوعين في الجيش الإنجليزي. انطلق بعدها بصحبة القائد واتجه إلى سهل كبير على قمة جبل، واقتحم رجال القائد قرية وأخذوها، بينما نحن الثلاثة نطلق الرصاص من بنادقنا في منتصف تجمعات العدو، وهكذا أخذنا تلك القرية أيضًا فأعطيت القائد قطعة قماش

من ردائي وقلت له: "تاجر حتى آتي" وهي آية من الإنجيل(11). وعلى سبيل التذكير، أطلقت قربه رصاصة وهو واقف على الثلج بينما كنت مع الجيش على بعد ألف وثمان مئة ياردة من القرية فسقطوا جميعًا على وجوههم. أرسلت بعد ذلك رسالة إلى درافوت حيث كان وقتها في البر أو البحر".

قاطعته مخاطرًا بقطع استرساله في الحكاية: "كيف استطعت كتابة تلك الرسالة، هناك في تلك المنطقة؟"

"الرسالة؟ - أه!، الرسالة! استمر في النظر في عيني، إذا سمحت. لقد كانت رسالة صوتية مشفرة في أسلاك، تعلمنا كيف نصنعها من شحاذ أعمى في البنجاب".

أتذكر أن شخصًا أعمى جاء إلى المكتب ذات يوم ومعه غصن معقود وقطعة سلك قام بلفها على الغصن بطريقة ما، صانعًا شفرة خاصة به، وكان بإمكانه إعادة الجملة التي قام بتشفيرها في ذلك الغصن بعد ساعات أو أيام، وقام بترميز الأبجدية في أحد عشر صوتًا، حاول أن يعلمني تلك الطريقة لكنه فشل.

قال كارنيهان: "أرسلت تلك الرسالة إلى درافوت وطلبت منه أن يعود لأن المملكة اتسعت وأصبحت أكبر من قدرتي على إدارة شئونها. ذهبت بعدها إلى القرية الأولى لأتفقد ما يصنعه الكهنة وأتابع العمل. كانوا يطلقون على القرية التي أخذناها مع قائد القبيلة: باشكاي، أما القرية الأولى فقد كان اسمها إرهب. كان الكهنة في إرهب يقومون بالعمل بشكل ممتاز، لكن كان لديهم الكثير من الشكاوى المؤجلة بخصوص بعض الأراضي، بالإضافة إلى قيام بعض الرجال من قرية أخرى بإطلاق السهام ليلًا. ذهبت لأرى أمر تلك القرية وأطلقت عليها أربع مجموعات من الرصاص من على بعد ألف ياردة. كان ذلك كل الرصاص الذي أطلقته في تلك الفترة، وانتظرت قدوم درافوت الذي طال غيابه شهرين أو ثلاثة، ونجحت في إبقاء الوضع هادئًا.

في صباح أحد الأيام سمعت صوت الطبول والأبواق التي أصدرت أصواتًا عالية جدًا كأنها إبليس نفسه، كان دان درافوت متقدمًا أسفل التل مع جيشه ووراءه مئات الرجال في صفوف طويلة، وعلى رأسه تاج ذهبي ضخم، وهو ما كان أكثر الأمور إثارة للدهشة في كل ذلك. قال دانيال: "يا إلهي! يا كارنيهان، هذا عمل ضخم، لقد حصلنا على كل ما يمكننا الحصول عليه في تلك البلد بالفعل. أنا ابن

الإسكندر(12) من الملكة سميراميس (13)، وأنت أخي الأصغر، إله أيضًا! إن ما نفعله هذا أكبر من كل مافعلناه من قبل، لقد تقدمت بالجيش وحاربت لمدة ستة أسابيع وأخضعت كل القرى التي قابلتها حتى خمسين ميلًا، بالإضافة إلى ذلك فقد تمكنت من معرفة السر الذي يمكننا من السيطرة، كما سترى، ولدي تاج آخر لك! لقد أمرتهم بصنع اثنين في مكان يطلق عليه شو، حيث يوجد الذهب وسط الصخور كما يوجد الدهن وسط اللحم. لقد رأيت الذهب، والفيروز على الهضاب، كما أن هناك نهرًا يملأ رماله العقيق الأحمر، وهناك أعطاني رجل قطعة عنبر. اجمع كل الكهنة، وخذ تاجك".

فتح أحد الرجال حقيبة شعر سوداء وأخرج التاج، كان صغيرًا جدًا وثقيلًا جدًا ولكني لبسته من أجل الشعور بالمجد. كان ذهبًا مدقوقًا يزن أكثر من كيلوجرامين، مثل إطار البرميل.

قال درافوت: "بيتشي، لا حاجة لنا في القتال أكثر من ذلك، إن الصنعة تكمن في التحايل، فلتساعدني!"، نادى على قائد القبيلة الذي كنت قد تركته في باشكاي، أطلقنا عليه فيما بعد بيلي فيش، لأنه كان يشبه كثيرًا شخصًا يدعى بيلي

فيش كان يقود القطار في محطة ماك حيث كنا نعمل في الأيام الخوالي. قال درافوت: "سلم عليه"، سلمت عليه وكدت أسقط، فقد كانت قبضته قوية، فرددت عليه بقبضة قوية. قلت لدان: "هل هو رفيق؟ هل يعرف الكلمة؟" قال دان: "نعم، يعرفها، ويعرفها كل الكهنة. إنها معجزة! كل قادة القبائل والكهنة يعرفون طرق الرفاق الماسونيين كما نعرفها تمامًا، كما أنهم قاموا بحفر الرموز على الصخر، لكنهم لا يعرفون المرتبة الثالثة وقد جاءوا إلينا ليتعلموها. إنها الحقيقة. كنت أعرف جيدًا أن الأفغان يعرفون الماسونية ومراتبها حتى رتبة الخبير، ولكن تلك معجزة. إنني إله وسيد عظيم في الصنعة، وسأفتتح مأوى للدرجة الثالثة وسنقوم بترقية الكهنة وقادة القبائل"

قلت له: "ولكن فتح مأوى دون تصريح من أي شخص يعد خرقًا لكل القوانين، كما أننا لم نتقلد أي منصب في أي مأوى"

قال درافوت: "إنها ضربة معلم! هذا يعني أننا سندير شئون البلد بسهولة شديدة مثل عجلة على منزلق. لا يمكن أن نتوقف. لا يمكننا التوقف الآن وإلا انقلبوا جميعًا ضدنا. إنني أمتلك أربعين قائد قبيلة تحت حذائى وسوف أرفع قدر كل واحد فيهم بحسب مهاراته، فلنمنح مسكنًا في القرية لكل

واحد منهم وهكذا يصبح لدينا مأوى من نوع ما. معبد إمبرا سيكون كافيًا ليسكنوا فيه، كما أن عليك أن تعلم النساء كيف يصنعن ملابس المراسم. أما أنا، فسأقيم حفل استقبال رسمي لقادة القبائل الليلة وأفتتح المأوى غدًا".

كنت قلقًا للغاية ولكني لم أكن أحمقًا فقد رأيت الفائدة الكبيرة التي استفدناها من ذلك الوضع؛ علّمت زوجات الكهنة كيف يصنعن ملابس المراسم الخاصة بكل مرتبة وطلبت منهن أن يصنعن ملابس درافوت من جلد الحيوانات باللون الفيروزي. قمنا بجعل قطعة حجر مربعة كبيرة في المعبد كرسيًا للسيد، وقطع أحجار أصغر للمراتب الأقل، ثم صبغنا أرضية المعبد السوداء بمربعات بيضاء كي يبدو المكان كأي مأوى عادي قدر المستطاع.

ألقى درافوت خطابًا خلال مراسم حفل الاستقبال الرسمية، التي أقيمت ليلًا على أحد التلال، قال درافوت إننا آلهة وأبناء الإسكندر وكل السادة العظام السابقين في تاريخ الماسونية، وإننا جئنا إلى كافرستان لكي نجعل منها دولة آمنة، يأكل فيه الجميع ويشربون بسلام، ما داموا يطيعوننا. بعد ذلك الخطاب، بدأ قادة القبائل في التقدم للسلام، لقد كانت بشرتهم بيضاء وشعرهم أشقر فكان الأمر أشبه بمصافحة

صديق قديم. كنا نطلق عليهم أسماء أشخاص نعرفهم في الهند مثل بيلي فيش وهولي ديلورث وبيكي كيرجان، الذي كان يمتلك بازارًا في مهو، وهكذا.

في اليوم التالي في المأوى حدثت معجزة مدهشة، فقد كان أحد الكهنة يراقبنا باستمرار مما جعلني أشعر بعدم الارتياح لأننا كنا نقوم بطقوس مزيفة ولم نكن نعرف بالتحديد ما الذي يعرفه هؤلاء الرجال عن تلك الطقوس. كان هذا الكاهن رجلًا غريبًا جاء من قرية أخرى، وبينما كان درافوت يرتدي ملابس المراسم التي صنعتها له النساء في القرية، أصدر هذا الكاهن صيحة مثل العواء وحاول أن يقلب الحجر الذي يجلس عليه درافوت. فكرت أن الأمر قد انتهى في تلك اللحظة وقد انكشف أمرنا، فهذا ما يحدث عندما يتدخل الإنسان في تقاليد الصنعة دون تصريح! لم يهتز درافوت على الإطلاق، تجمع بعدها عشرة كهنة حول الحجر وقاموا بقلبه، ثم قام الكاهن الغريب بإزالة بعض الأوساخ والأتربة عن الجزء الأسفل من الحجر، لتظهر تحت تلك الأتربة العلامة نفسها التي غزلتها النساء على ملابس درافوت، منقوشة في الحجر ولم يكن كهنة إمبرا أنفسهم يعرفون بوجود تلك العلامة من قبل. تمدد الكاهن على وجهه أمام قدمي درافوت وقبّلهما. قال درافوت لي من الجهة

الأخرى للقاعة: "الحظ يحالفنا مجددًا، إنهم يقولون إن تلك هي العلامة المفقودة التي لم يكن يعرف أحد موقعها، نحن الآن في أمان تام". قام بعدها درافوت بدق الأرض بكعب البندقية ثم قال: "باسم السلطة المتجسدة فيّ، التي صنعتها بذراعي وبمساعدة بيتشي أعلن نفسي سيدًا أكبر في كافرستان وفي هذا المأوى الأكبر، وملكًا على كافرستان بالتساوي مع بيتشي. وفي تلك اللحظة وضع كل منا تاجه على رأسه، ثم قمنا بتدشين المأوى. كانت معجزة مدهشة! قام الكهنة بطقوس المرتبتين الأولى والثانية دون أن يدلهم أحد كأنهم يعرفون كل شيء عنهما. بعد ذلك، بدآ بيتشي ودرافوت في ترقية الكهنة الكبار وقادة القرى البعيدة. كان بيلي فيش أولهم، وأستطيع أن أؤكد لك أننا أرعبناه تمامًا، لم يكن هذا جزءًا من الطقوس ولكننا قمنا بذلك من أجل تأكيد مكانتنا. كما أننا لم نرقِ أكثر من عشرة رجال من كبارهم؛ لأننا لم نرد أن نجعل المرتبة منتشرة بينهم، على الرغم من أنهم كانوا يصرخون طلبًا للترقية.

قال درافوت لهم: "سوف نعقد محفلًا ثانيًا بعد ستة أشهر لنرى من منكم يستحق الترقية". ثم بدأ يسألهم عن قراهم وعرف عن المعارك التي تدور بينهم وأنهم قد تعبوا وسئموا منها. وعرف أيضًا عن المعارك التي تندلع بينهم وبين

المسلمين. قال درافوت: "يمكنكم محاربتهم إذا جاءوا إلى بلادنا، أرسلوا رجلًا من كل عشرة رجال من قبائلكم، وأرسلوا كل مئتين منهم في مجموعة إلى الوادي ليتم تدريبهم. لن يتم إطلاق الرصاص أو الرماح على أحد ما دام يعمل جيدًا، وأعرف جيدًا أنكم لن تخونوني لأنكم رجال بيض البشرة من أبناء الإسكندر ولستم مثل هؤلاء المسلمين السود، أنتم شعبي وقسمًا بالله لأجعلن منكم دولة عظيمة أو أموت وأنا أحاول!". قال درافوت نصف جملته الأخيرة بالإنجليزية.

لا يمكنني أن أحكي لك كل ما قمنا به خلال الستة أشهر التالية، لأن درافوت قام بالكثير من الأشياء التي لم أكن أفهم السبب وراءها، وتعلم لغتهم بسرعة في حين لم أتمكن أنا من ذلك مطلقًا. كانت وظيفتي هي مساعدة أهل القرى في حراثة الأرض، ومن حين لآخر أقود جزءًا من الجيش لأتابع ما يفعله أهل القرى الأخرى، وجعلتهم يبنون جسرًا فوق الوادي الذي كان يقسم المنطقة نصفين. كان درافوت لطيفًا جدًا معي، لكنني حين كنت أراه ماشيًا وحده في غابة النخيل ممسكًا بلحيته الحمراء بيديه الاثنين، أتيقن أنه ليس بإمكاني نصحه فيما يضع من الخطط، لذا كنت أنتظر أوامره في صمت.

لم يظهر درافوت أي عدم احترام لي أمام الناس، لقد كانوا يهابونني ويهابون الجيش بشدة، ولكنهم أحبوا دان. لقد كان صديقًا ممتازًا للكهنة وقادة القبائل والقرى، وكان يستمع لأي شخص يأتيه بشكوى من أي مكان حول التلال وينصت إليه بإمعان ثم يجمع أربعة كهنة ويخبرهم بما يتوجب عليهم فعله لحل الشكوى. كان درافوت يستدعي بيلي فيش من باشكاي، وبيكي كيرجان من شو، وقائد آخر كنا نطلق عليه كافولزوم، كان ذلك اسمًا قريبًا من اسمه الحقيقي، ويعقد معهم اجتماعات حرب. أما الكهنة الأربعة من باشكاي وشو وخواك ومادوار، فقد مثلوا مجلس مستشاريه الخاص. قاموا بإرسالي على رأس أربعين رجلًا وعشرين بندقية، وستين رجلًا آخرين يحملون الفيروز إلى أمير كابول؛ لأشترى منه تلك البنادق التي يصنعونها يدويًا هناك في ورش الأمير في غورباند. كان أحد مساعدي الأمير مستعدًا لبيع أسنانه مقابل الفيروز.

بقيت في غورباند لمدة شهر وأعطيت الحاكم هناك أفضل ما لديّ رشوةً مقابل صمته، كما دفعت رشاوى لأحد القادة الكبار في حامية المدينة، وكذلك لبعض قادة القبائل وحصلنا على أكثر من مئة بندقية يدوية الصنع وأربعين مجموعة من الرصاص سيئ الصنع. عدت بما استطعت الحصول عليه

ووزعتهم على الرجال الذين أرسلهم قادة القبائل للحصول على التدريب. كان درافوت مشغولًا جدًا ولم يكن بإمكانه متابعة مثل تلك الأمور ولكن الجيش الأول الذي قمنا بتكوينه في البداية ساعدني في تدريب هؤلاء الرجال. وهكذا قمنا بتدريب خمسمئة رجل بشكل كامل، واستطاع مائتان آخرون أن يحملوا البنادق بشكل سليم، حتى تلك البنادق البدائية يدوية الصنع كانت معجزة في نظرهم. بدأ درافوت قرب دخول الشتاء يفكر كثيرًا في المصانع والبارود أثناء تجوله في غابة النخيل.

قال: "لن أبني دولة، بل سأبني إمبراطورية! انظر لعيون هؤلاء الرجال، إنهم ليسوا زنوجًا بل إنجليز. انظر كيف يقفون، كما أنهم يجلسون على كراس في بيوتهم، إنهم القبائل المفقودة(14) أو شيءٌ من هذا القبيل. سوف أجري تعدادًا لسكان تلك التلال في الربيع لا بد أنهم قرابة الاثنين مليون شخص، إن القرى مملوءة بأطفال صغار. اثنان مليون شخص يعني حوالي مئتين وخمسين ألف مقاتل، جميعهم إنجليزا! إنهم بحاجة إلى بنادق وبعض التدريب فقط. مئتان وخمسون ألف رجل مستعدون للتصدي للجيش الروسي عندما يبدأ غزوه للهند". ثم استكمل كلامه وهو يعبث بلحيته: "بيتشي، سوف نصبح أباطرة، أباطرة الأرض! راجا

بررووك(15) سيصبح رجلًا فاشلًا إذا ما قورن بنا. سوف أكون على قدم المساواة مع نائب الملك(16) وسوف أطلب منه أن يرسل لنا اثنى عشر رجلًا إنجليزيًا أعرفهم ليساعدونا في الحكم وإدارة البلاد، مثل ماكراي وهو رقيب متقاعد في سيجولي، تناولت معه العشاء عدة مرات كما أعطتني زوجته بنطالًا ذات مرة. ودونكن، مأمور سجن تونجو؛ وكثيرون آخرون بإمكاني الحصول عليهم من الهند، سوف يقوم نائب الملك بكل ذلك من أجلي. سوف أرسل رجلًا في الربيع ليحضر هؤلاء الرجال، كما سأطلب عفوا خاصًا من المأوى الأكبر لما قمت به باعتباي سيدًا أكبر. هذا بالإضافة إلى بنادق سنايدر التي سنحصل عليها حين يستلم الجنود في الهند بنادق المارتيني، ستكون تلك البنادق قديمة ولكنها ستكفي للمعارك هنا على التلال. اثنا عشر رجلًا إنجليزيًا ومئة ألف بندقية سنايدر سيجرون خلال أراضي الأمير مثل أنهار صغيرة، سأكون راضيًا تمامًا بعشرين ألف كل عام وهكذا نصبح إمبراطورية. وحين يصبح كل شيء جاهزًا تمامًا، سوف أسلم التاج الذي ألبسه الآن إلى الملكة فيكتوريا راكعًا وستقول لي: انهض سير دانيال درافوت، يا له من أمر كبير، كبير. ولكن لا يزال أمامنا الكثير لنفعله في كل مكان: باشكاي، وخواك، وشو، وكل الأماكن الأخرى.

قلت له: "ماذا بعد؟ فليس هناك المزيد من الرجال القادمين لتلقي التدريب هذا الخريف. انظر إلى تلك السحب الثقيلة السوداء، إنها ستجلب الثلج".

قال درافوت بينما يضع يده على كتفي: "إن الأمر ليس كما تعتقد، كما أنني لا أريد أن أقول أي شيء ضدك، فليس هناك رجل كان ليتبعني ويجعلني على ما أنا عليه الآن غيرك. أنت قائد القوات من الطراز الأول والجميع هنا يعرفك، لكنه بلد كبير جدًا وليس بإمكانك مساعدتي، يا بيتشي، بالطريقة التي أود أن تتم مساعدتي بها".

قلت له: "اذهب للكهنة إذن". شعرت بالندم بمجرد نطقي بتلك الكلمات، ولكنني تأذيت كثيرًا حين سمعت درافوت يتحدث بتلك النبرة المتعالية معي، على الرغم من تدريبي للرجال وقيامي بتنفيذ كل ما طلبه مني.

قال درافوت بهدوء: "لا أريد أن أتشاجر معك يا بيتشي، فأنت أيضًا ملك، ونصف تلك المملكة لك ولكن ألا ترى أننا في حاجة لرجال أكثر ذكاءً منا الآن يا بيتشي، ثلاثة أو أربعة رجال لننشرهم في الأرجاء نوابًا عنا؟ إنها بلد ضخمة، وأنا لن أتمكن من اقتراح ما يجب فعله بشكل صحيح في كل مرة،

كما أنني لا أمتلك الوقت الكافي لكل ما أريد فعله، وها هو الشتاء قادم".. وضع نصف لحيته في فمه فكانت حمراء مثل ذهب التاج الذي يرتديه.

قلت له: "أنا آسف يا درافوت، لقد قمت بكل ما أستطيع. لقد قمت بتدريب الرجال وعلمت الفلاحين كيف يخزنون "الشوفان" بشكل أفضل، كما أنني جلبت تلك البنادق من غورباند، ولكنني أفهم ما تقصده بكلامك وأظن أن الملوك جميعًا يشعرون أيضًا بهذا النوع من الضغط ".

قال درافوت أثناء مشيه جيئًا وذهابًا: "هناك أمر آخر، إن قدوم الشتاء سيجعل هؤلاء الرجال لا يستطيعون التحرك والقيام بالكثير من الأمور، وهذا سيجعلنا نحن أيضًا غير قادرين على التحرك، لذلك فأنا أريد أن أتزوج".

قلت له: "بالله عليك، دع النساء وشأنهن، فكلانا لديه ما يكفي من العمل حتى وإن كنث غبيًا. تذكر العقد الذي برمناه، إنه ينص على الابتعاد عن النساء".

قال درافوت بينما يمسك بتاجه بين يديه: "لقد انتهى العقد قبل شهور.. في اللحظة التي أصبحنا فيها ملوكًا. يجب

عليك أن تتزوج أنت أيضًا، يا بيتشي. امرأة لطيفة لتبقيك دافئًا في الشتاء. إنهن أجمل من الإنجليزيات اللائشي يعيشن هنا، ونحن نستطيع أن نختار أفضلهن، ونقوم بنقعهن في الماء الساخن ليخرجن بيضًا مثل الدجاج".

قلت له: "لا تغويني، فأنا لن أقترب من أية امرأة حتى يستقر وضعنا أكثر من ذلك هنا. لقد كنت أقوم بعمل رجلين، وأنت كنت تقوم بعمل ثلاثة رجال. فلنسترح قليلًا، ولنحاول أن نحصل على تبغ أفضل من الأفغان، وبعض الخمر الجيد، ولكن لا نساء".

قال درافوت: "من تحدث عن النساء؟ لقد كنت أتحدث عن زوجة، ملكة تنجب ابنًا للملك، ملكة من أقوى القبائل والتي ستجعل منهم إخوتك، وستنام بجوارك وتخبرك بما يظنه الناس فيك وتحكي لك عن شئونهم، هذا ما كنت أقصده".

قلت له: "هل تتذكر المرأة البنغالية التي احتفظت بيها عندما كنت أعمل في السكك الحديدية؟ كان ذلك أمرًا جيدًا لي، فقد علمتني اللغة المحلية وأمورًا أخرى، ولكن ماذا حدث بعدها؟ لقد سرقت نصف مرتبي لتهرب مع خادم مأمور المحطة، ثم ذهبت إلى دادور وقالت للجميع هناك إنها

زوجتي!".

قال درافوت: "لقد حُسم الأمر بيننا، تلك النساء أكثر بياضًا مني ومنك، لقد قررت أن يكون لي ملكة خلال أشهر الشتاء".

قلت له: "للمرة الأخيرة يا دان، سأطلب منك ألا تفعل ذلك، فسيجلب لنا ذلك الأمر ضررًا كبيرًا، يقول الإنجيل إن الملوك يجب ألا يضيعوا قوتهم على النساء وخصوصًا لو كان لديهم مملكة جديدة يجب أن يعملوا على تدعيمها".

قال درافوت: "لآخر مرة، سأجيبك بأنني سأفعل ما قررته". ثم اتجه إلى أشجار النخيل ومشى بينها كشيطان كبير أحمر. انعكست الشمس أثناء غروبها على أحد جانبي تاجه ولحيته فلمع الاثنان مثل الفحم المشتعل.

لم يكن الحصول على زوجة بالأمر السهل كما اعتقد دان، عرض الأمر على المجلس ولم يتلق أية إجابة حتى اقترح بيلي فيش أنه من الأفضل سؤال النساء. لعنهم درافوت جميعًا. صرخ فيهم وهو يقف بجوار تمثال الإلهة إمبرا: "ماذا بي؟ هل أنا كلب أم أنني لست رجلًا بالقدر الكافي للزواج من

بناتكم؟ ألم أضع ظل يدي على تلك البلاد؟ من الذي منع آخر هجمات الأفغان؟"

لقد كنت أنا من قام بكل هذا بالنيابة عنه، لكن درافوت كان غاضبًا جدًا فلم يتذكر ذلك. استكمل كلامه قائلًا "من أتي بالبنادق إليكم؟ من قام بإصلاح الجسر؟ من هو السيد الأكبر الذي يحمل العلامة المحفورة على الحجر؟"، وأشار بإصبعه إلى الحجر الذي يجلس عليه في المأوى ويترأس فيه المجلس. لم يتفوه بيلي فيش بأية كلمة وكذلك لم يتفوه أي من الآخرين.

قلت له: "اهدأ يا دان، وقم بسؤال النساء، فهكذا نفعل في بريطانيا ويبدو أنهم هنا إنجليز فعلًا!".

قال دان غاضبًا للغاية، وكنت أتمنى أن يكون واعيًا بأنه يخرج عن صوابه: "إن زواج الملك هو أمر من أمور الدولة". ثم خرج من قاعة الاجتماع بينما ظل الآخرون جالسين ينظرون إلى الأرض.

قلت لقائد باشكاي: "بيلي فيش، ما المشكلة هنا؟ أجبني بصراحة بوصفي صديقًا".

قال بيلي فيش: "كيف يمكن لرجل أن يقول إنه يعرف كل شيء؟ كيف يمكن لبنات الإنس أن تتزوج من الآلهة أو حتى الشياطين؟ هذا غير ملائم".

أذكر أنني قرأت أمرًا كهذا في الإنجيل ولكن حتى لو كان ذلك صحيحًا، وبالرغم من أننا عشنا معهم كل تلك الشهور، فإنهم ما زالوا يعتقدون أننا فعلا آلهة، لم يكن الأمر بيدي كي أخبرهم بالحقيقة.

قلت له: "يمكن للإله أن يفعل ما يحلو له، إذا كان الملك يحب فتاة ما فلن يدعها تموت؛ سيخلدها".

قال بيلي فيش: "نعم، ستضطر إلى ذلك بالفعل. هناك في تلك الجبال تعيش كل أنواع الآلهة والشياطين، وكل فترة تتزوج واحدة منا بواحد منهم ولا نراها بعدها مطلقًا. كما أنكما تعرفان العلامة المنحوتة في الحجر، التي لا يعرفها سوى الآلهة. لقد كنا نظن أنكما رجلان حتى أظهرتما علامة السيد الأكبر".

تمنيت حينها لو أننا قمنا بشرح حقيقة أسرار السيد الأكبر منذ أول وهلة، ولكني لم أقل شيئًا. طوال تلك الليلة، كنت

أسمع نفخ الأبواق في أحد المعابد المظلمة أسفل التل، ثم سمعت صراخ فتاة كأنها على وشك الموت. أخبرنا أحد الكهنة أنه يتم تحضير تلك الفتاة للزواج من الملك.

قال دان: "لن أقبل بمثل هذا الهراء، ولا أريد أن أتدخل في تقاليدكم، ولكنني سأحصل على زوجتي".

قال له الكاهن: "إن الفتاة خائفة، إنها تعتقد أنها ستموت، إنهم يحاولون الشد من أزرها في المعبد".

قال درافوت: "شدوا من أزرها سريعًا إذن وإلا شددتُ من أزركم بكعب بندقيتي فلا تعودون في حاجة إلى شد الأزر أبدًا بعد ذلك"، ثم عض على شفتيه وظل متيقظًا يتجول في الأرجاء حتى منتصف الليل، ويفكر في زوجته التي سيحصل عليها في الصباح. لم أكن مرتاحًا على الإطلاق لأنني كنت أعرف أن التعامل مع النساء في المناطق الأجنبية شديد الخطورة حتى لو كنت ملكًا متوجًا عشرين مرة. استيقظت مبكرًا في الصباح بينما درافوت لا يزال نائمًا، فرأيت الكهنة يتحدثون فيما بينهم همسًا وكذلك قادة القبائل، نظروا جميعًا ناحيتي بقلق بالغ حين رأوني.

قلت لقائد باشكاي الذي ارتدى معطفه من الفراء وبدت هيئته رائعة للعين: "ما الأمر يا فيش؟"

قال: "لا أستطيع أن أجزم بحقيقة الأمر، ولكن لو أن بمقدورك إثناء الملك عن هذا الهراء فإنك ستكون قد قدمت له ولي ولنفسك خدمة عظيمة"

قلت: "نعم أوافقك الرأي تمامًا، ولكنك تعرف جيدًا بما أنك رجل حارب ضدنا ومعنا أن الملك وأنا رجلان من أكثر الرجال الجيدين الذين خلقهم الله، أؤكد لك ذلك".

قال بيلي فيش: "نعم هذا صحيح، ولكني آسف على أية حال"، ثم أغرق رأسه في معطف الفراء الذي يرتديه وراح يفكر ثم أردف قائلًا: "أيّ ما تكونون، ملوك أو آلهة أو رجال، إنني سأبقي هنا اليوم بجواركم، وبعد ذلك سأرحل أنا ورجالي العشرين الذي جاءوا معي إلى باشكاي حتى تهدأ تلك العاصفة".

كان بعض الثلج قد سقط خلال الليل، وكانت كل الأنحاء بيضاء تمامًا ما عدا تلك السحب الرمادية الكثيفة، التي راحت تقترب تدريجيًا من جهة الشمال. خرج درافوت واضعًا

التاج على رأسه، وراح يمشي وهو يحرك ذراعيه في الهواء وقدميه كأنه يرقص وبدا أنه أكثر سعادة من جحا.

قلت هامسًا له: "للمرة الأخيرة سأطلب منك ألا تفعل ما تريد فعله، بيلي فيش يقول إن الأمر سينقلب ضدنا".

قال درافوت: "شعبي ينقلب عليّ! لن يحدث هذا أبدًا. يا لك من أحمق يا بيتشي، كيف لا تريد أن تحصل على زوجة أنت أيضًا!". ثم قال بصوت مرتفع مثل نهيق الحمير: "أين هي الفتاة؟ اجمعوا كل الكهنة وقادة القبائل، إن الإمبراطور يريد أن يرى هل ستناسبه تلك الفتاة أم لا".

لم تكن هناك حاجة لجمع أي أحد فجميعهم موجودون، مجتمعين في وسط غابة النخيل ممسكين ببنادقهم ودروعهم. ذهبت مجموعة من الكهنة إلى المعبد كي تجلب الفتاة، بدأت الأبواق في إصدار أصواتها العالية الكفيلة بإيقاظ الموتى. دار بيلي فيش حول الجميع واقترب من درافوت قدر المستطاع وخلفه وقف رجاله العشرون ببنادقهم البدائية. كانوا جميعًا أطول من ستة أقدام. كنت أقف بجوار درافوت وخلفي عشرون رجلًا من الجيش العادي. صعدت الفتاة بصحبة الكهنة، وكانت فتاة طويلة

قوية البنية، ومغطاة بالفضة والفيروز ولكنها شاحبة كالأموات وتنظر إلى الخلف ناحية الكهنة باستمرار.

قال درافوت وهو يتفحصها: "إنها مناسبة، مما أنتي خائفة يا فتاة؟ تعالي وقبليني". ثم وضع ذراعه حولها فأغلقت عينيها وأصدرت صوتًا كالأزيز ثم وضعت قبلة على جانب لحية درافوت شديدة الإحمرار.

صرخ: "لقد عضتني!" ثم وضع كفه على رقبته، وحين أزاحها كانت قد لطخت بالدم. أمسك بيلي فيش ورجاله بكتفي دان وسحبوه إلى ناحيتهم بينما بدأ الكهنة يصرخون في لغتهم: "ليس إلهًا أو شيطانًا، بل بشرا!". تراجعت فورًا إذ حاول أحد الكهنة الهجوم عليّ، ثم بدأ رجال الجيش خلفي يطلقون النار على رجال بيلي فيش.

قال دان: "يا إلهي! ما معنى كل هذا؟"

قال بيلي فيش: "تراجع! تراجع! إنه الدمار والعصيان. سوف نهرب إلى باشكاي إذا استطعنا".

حاولت أن أعطي الأوامر لرجالي في الجيش الاعتيادي،

لكنهم لم يستجيبوا فأطلقت فوق رؤوسهم الرصاص من بندقيتي فأصبت ثلاثة منهم. كانت تلك الكائنات تملأ الوادي بصراخها وعويلها الذي يقبض الأرواح، يرددون "ليس إلهًا أو شيطانًا، بل بشرا". كان جنود بيلي فيش ملتحمين حول درافوت بكل قواهم، ولكن بنادقهم لم تكن جيدة كفاية لتتصدى لبنادق كابول، فسقط منهم أربعة قتلى. كان دان ينخر كالعجول من شدة الغضب، ولكن بيلي فيش بذل كل الجهد كي يمنعه من الركض نحو الجماهير الغاضبة.

قال بيلي فيش: "لن نستطيع الصمود أكثر من ذلك، فلنتراجع إلى أسفل الوادي! الجميع هنا قد انقلب علينا". ركض رجاله وذهبنا إلى أسفل الوادي بالفعل بالرغم من اعتراض درافوت ومقاومته. كان يصرخ ويسب مؤكدًا أنه الملك. قام الكهنة بقذفنا بالحجارة وأطلق رجال الجيش الاعتيادي الرصاص بغزارة ولم يتبق من جماعتنا إلا ستة أشخاص، بالإضافة إلىّ ودرافوت وبيلي فيش، الذين استطاعوا الوصول إلى الوادي أحياء.

توقفوا عن إطلاق الرصاص، ثم سمعنا أبواق المعبد تصدر أصواتها المخيفة مرة أخرى. قال بيلي فيش: "ابتعد عنهم، بالله عليك، ابتعد! سوف يرسلون رجالًا خلفنا للبحث في

الوادي كله قبل أن نصل إلى باشكاي. يمكنني حمايتكم هناك ولكني لن أستطيع فعل ذلك هنا".

أظن أن دان بدأ يفقد عقله منذ تلك الساعة المشؤومة، صار يتجول في المكان مثل خنزير عالق في مصيدة، ثم بدأ يفكر في أنه يريد الذهاب وحده إلى القرية وقتل جميع الكهنة بيديه العاريتين وهو ما كان يمكن أن يقوم به بالفعل. قال دانيال: "أنا إمبراطور، وفي العام القادم سوف أصبح فارسًا في خدمة الملكة".

قلت له: "حسنٌ يا دان، ولكن تعال معنا الآن فلا يزال لدينا الوقت الكافي".

قال: "إن الأمر كله خطؤك، لقد أهملت في إدارة جيشك. لقد قاموا بعصيان دون أن تعرف، أيها اللعين سائق القطارات، عامل السكك الحديدية". ثم جلس على صخرة وبدأ في سبابي بكل أنواع الشتائم التي يعرفها، وكنت متعبًا جدًا فلم أهتم، بالرغم من أن الأمر برمته حدث بسبب غبائه.

قلت له: "أنا آسف يا دان، ولكن لم يكن من الحكمة الاعتماد على السكان المحليين، إن الأمر أشبه بما وقع عام

57.(17) ربما نستطيع أن نقوم بعمل شيء ما حيال الأمر حين نصل إلى باشكاي".

قال دان: "لنذهب إلى باشكاي إذن، قسمًا بالله لأمحون تلك القرية بأكلمها حين أعود إليها حتى لا تبقى فيها قملة في فراش!".

ظللنا سائرين طوال اليوم، ودان يتعثر في الثلج أثناء مشيه طوال الليل ويمضغ لحيته ويهمس متحدثًا لنفسه.

قال بيلي فيش: "ليس هناك أمل في الهروب دون أذى، من المؤكد أن الكهنة قد أرسلوا رجالًا لكل القرى ليخبروهم بأنكما مجرد بشر. لماذا لم تظلا آلهة لفترة أطول حتى تستقر الأمور؟ أنا رجل ميت لا محالة بعدما ساعدتكم" ألقى بيلي فيش بنفسه على الثلج وراح يصلي ويدعو آلهته.

في الصباح التالي كنا قد وصلنا إلى أرض قاسية جدًا، تملؤها المرتفعات والمنخفضات ولا يوجد بها أي أرض مستوية أو حتى طعام. ظل رجال الباشكاي الستة ينظرون إلى بيلي فيش جائعين، وكأنهم يريدون أن يطلبوا منه أمرًا ما ولكنهم لم يتفوهوا بكلمة قط. وصلنا إلى قمة جبلية

مستوية مغطاة بالثلوج عند الظهيرة فتسلقنا حتى وصلنا إليها، وهناك وجدنا جيشًا متمركزًا في منتصفها، منتظرًا في حالة تأهب.

قال بيلي فيش ضاحكًا قليلًا: "لقد انتشر رجال الكهنة سريعًا بالأخبار، إنهم في انتظارنا".

بدأ ثلاثة أو أربعة رجال من الجهة الأخرى بإطلاق الرصاص، فاستقرت رصاصة طائشة في ساق دان الذي استعاد عقله على الفور. نظر إلى الجهة المقابلة عبر الثلج ناحية الجيش ورأى البنادق التي كنا قد جلبناها إلى البلد.

قال: "لقد انتهى أمرنا، هؤلاء الرجال إنجليز. لقد أوصلنا الهراء الذي قمت به إلى تلك اللحظة. عد أدراجك يا بيلي فيش وخذ رجالك معك، لقد قمت بكل ما يمكنك القيام به، والآن اذهب واهتم برجالك. وأنت أيضًا يا كارنيهان، صافحني واذهب مع بيلي فيش، ربما لن يقتلوك. أما أنا فسوف أذهب إليهم وحدي، فأنا المسئول الوحيد عما حدث، أنا، الملك".

قلت: "أذهب معه! اذهب إلى الجحيم يا دان، أنا معك هنا.

ارحل أنت يا بيلي فيش. أما نحن، فسنذهب للقاء هؤلاء".

قال بيلي فيش بهدوء: "أنا قائد قبيلة، سوف أبقى معكما، أما رجالي فبإمكانهم الذهاب".

لم ينتظر رجال الباشكاي أي كلمة أخرى بل ركضوا على الفور. عبرت أنا ودان وبيلي فيش إلى الجهة الأخرى حيث يتم قرع الطبول ونفخ الأبواق. كان نهارًا باردًا جدًا. إنني أشعر بالسقيع الآن، وكلما تذكرت ذلك النهار، لا يزال له أثر هنا.

كان الرجال الذين يديرون المراوح البدوية قد ذهبوا للنوم، وتراقص لهب الكيروسين مضيئًا في المكتب، وغطى العرق وجهي فتساقطت قطراته على نشافة الحبر. كان كارنيهان يرتعش وكنت خائفًا أن يذهب عقله تمامًا. مسحت وجهي ثم ألقيت نظرة سريعة مليئة بالشفقة على يديه المهترئتين وسألته: "ماذا حدث بعد ذلك؟"

كانت تلك النظرة اللحظية السريعة كفيلة بقطع حبل أفكاره.

قال كارنيهان مشتكيًا: "ما الذي قلته؟ لقد أخذوهما دون أي كلمة. لم يكن هناك أي همس عبر الثلج، ليس حتى حين أسقط الملك بقبضته أول من حاول القبض عليه. ليس حتى حين أطلق بيتشي كل ما لديه من رصاص فوق رؤوسهم. لم يصدر هؤلاء الخنازير أي صوت. لقد تحلقوا وأغلقوا علينا الدائرة فقط، كانت رائحة فرائهم عفنة. كان هناك رجل طيب يدعى بيلي فيش، صديق وفي، قطعوا عنقه يا سيدي، هناك في تلك اللحظة مثل خنزير بينما يضرب الملك الثلج بقدميه قائلًا: "لقد حصلنا على صفقة جيدة لأموالنا، ماذا سيحدث الآن؟". ولكن دعني أخبرك يا سيدي، بيني وبينك باعتبارنا صديقين أن بيتشي المسكين، بيتشي تاليافيرو، فقد رأسه، يا سيدي، لا، لم يفقد بيتشي رأسه، فقد الملك رأسه، نعم فقد الملك رأسه على حبل من حبال تلك الجسور الخادعة. هل بإمكاني الحصول على مقطعة الورق يا سيدي؟ لقد مالت رأسه على هذا النحو. لقد ساقوه لأكثر من ميل فوق الثلج حتى وصلوا إلى جسر فوق أخدود يجري فيه نهر، أظن أنك رأيت مثل تلك الأماكن من قبل. لقد جروه خلفهم مثل ثور، قال الملك: "عليكم اللعنة جميعًا، أليس بإمكاني الموت كرجل نبيل؟". ثم استدار ناحية بيتشي، بيتشي الذي كان يبكي مثل طفل، وقال: "لقد جلبتك إلى هذا يا بيتشي، لقد جلبتك من حياتك السعيدة لكي تُقتل في كافرستان حيث كنت قائد

قوات الإمبراطور السابق. سامحني يا بيتشي، قل إنك تسامحني"

قال بيتشي: "أنا أسامحك، أسامحك تمامًا وبكامل إرادتي يا دان".

قال: "صافحني يا بيتشي، فأنا ذاهب الآن". تقدم ناحيتهم ولم ينظر يمينًا أو يسارًا وحين تم وضع رأسه بين حبال ذلك الجسر المهتزة صرخ: "اقطعوا، أيها المتسولون" فقطعوا رأسه. سقط دان متقلبًا في الهواء لعشرين ألف ميل، لقد استغرق جسده نصف ساعة ليضرب صفحة الماء، وكان بإمكاني رؤية جسده محشورًا بين الصخور والتاج على مقربة منه.

ولكن هل تعرف ما فعلوه ببيتشي بين نخلتين؟ لقد حاولوا صلبه يا سيدي، كما يظهر على ذراعي بيتشي حتى الآن. لقد استخدموا مسامير خشبية في يديه وقدميه، لكنه لم يمت. لقد تعلق هناك وظل يصرخ فأنزلوه في اليوم التالي وقالوا له إنها معجزة أنه لم يمت. أنزلوه، المسكين، الذي لم يرتكب في حقهم أي خطأ ولم يرتكب في حقهم . . ."

ظل يتأرجح في الكرسي ويبكي بألم شديد، يمسح عينيه بظهر كفه المهترئة ويتأوه كالأطفال لمدة عشر دقائق أو أكثر.

قال: "لقد كانوا قاسين معه للغاية، ولكنهم أطعموه في المعبد وقالوا له إنه إله أكثر من دانيال الذي كان مجرد بشر. طردوه بعدها، وطلبوا منه أن يعود إلى وطنه، فعاد بيتشي ولكنه استغرق عامًا كاملًا يمشي على الثلج ويتسول في الطرقات. لقد مشى بيتشي من قبل مع دانيال درافوت الذي قال: "تعال معي يا بيتشي، إنه أمر عظيم هذا الذي سنفعله" لقد كانت الجبال ترقص ليلًا، وكادت أن تسقط على رأس بيتشي ولكن دان كان يرفع ذراعيه ممسكًا بها. لم يفلت من يديه يد دان ولم تسقط من يديه رأس دان. لقد أعطوه الرأس في المعبد هديةً لكي تذكره ألا يعود مطلقًا، وعلى الرغم من أن التاج من الذهب الخالص، فإن بيتشي لم يفكر في بيعه مطلقًا، ظل بيتشي جائعًا، كنت تعرف درافوت يا سيدي، كنت تعرف سعادة السيد الأخ درافوت! انظر إليه الآن"!

مد يديه بين قطع القماش المهترئ الذي يحيط بخصره وأخرج حقيبة من شعر الخيول ذات لون أسود مزركشة

بخيوط فضية ودفع من داخلها بالرأس الجافة الهزيلة، رأس دانيال درافوت على طاولتي! انعكس ضوء الشمس التي أشرقت قبل مدة على اللحية الحمراء وعلى عينيه الغائرتين المغمضتين، وانعكس الضوء كذلك على إطار من الذهب المحلى بأحجار الفيروز، قام كارنيهان بوضع التاج على الرأس البالية.

قال كارنيهان: "انظر الآن للإمبراطور، هكذا كان يبدو حيًا، ملك كافرستان وتاجه على رأسه، دانيال المسكين، دانيال الذي كان ملكًا ذات يوم!".

ارتعشت، فبالرغم من التشوهات الواضحة، فإنني تمكنت من التعرف على الرجل من ماروار. قام كارنيهان ليرحل فحاولت منعه لأنه لم يكن في حالة تسمح له بالسير وحده بالخارج.

قال: "دعني آخذ معي الويسكي، وأعطني بعض المال، لقد كنت ملكًا في يوم ما. سوف أذهب إلى نائب المبعوث السامي وأطلب منه أن يسمح لي بالبقاء في مأوى الفقراء حتى أستعيد صحتي. لا، شكرًا ليس بإمكاني الانتظار حتى تطلب لي عربة فلدي بعض الأمور الخاصة العاجلة التي

يجب أن أقوم بها في الجنوب، في ماروار".

خرج مترنحًا من المكتب وذهب في اتجاه بيت نائب المبعوث السامي. كان النهار في منتصفه، حين كنت في طريقي إلى السوق التجاري في ذلك الحر، رأيت رجلًا يزحف على التراب الأبيض على جانب الطريق بينما يمسك بقبعته ويرتعش مهلوسًا على طريقة هؤلاء المغنين في الطرقات في الوطن. لم يكن هناك بشر آخرون في الطريق، وكان بعيدًا عن أي بيت يمكنه أن يستمع إليه. كان يغني من أنفه ناظرًا برأسه يمينًا ويسارًا:

"يذهب ابن آدم إلى الحرب،

ليحصل على تاج ذهبي؛

سوف ترفرف أعلامه الحمراء كالدم بعيدًا

فمن سيتبع خطواته؟"

لم أنتظر لأسمع أكثر من هذا، وضعته في العربة التي كنت أركبها وأخذته إلى أقرب إرسالية كي يحولوه إلى ملجأ

الأمراض العقلية. راح يكرر الأغنية وهو معي في العربة غير قادر على التعرف عليّ، وتركته في الإرسالية وهو لا يزال يغنيها.

في اليوم التالي سألت عنه مدير الملجأ.

قال المدير: "لقد كان يعاني من ضربة شمس. لقد مات صباح أمس، هل كان حقًا عاري الرأس في شمس منتصف النهار لمدة نصف ساعة؟"

أجبته: "نعم، هل وجدتم معه أي شيء حين مات؟"

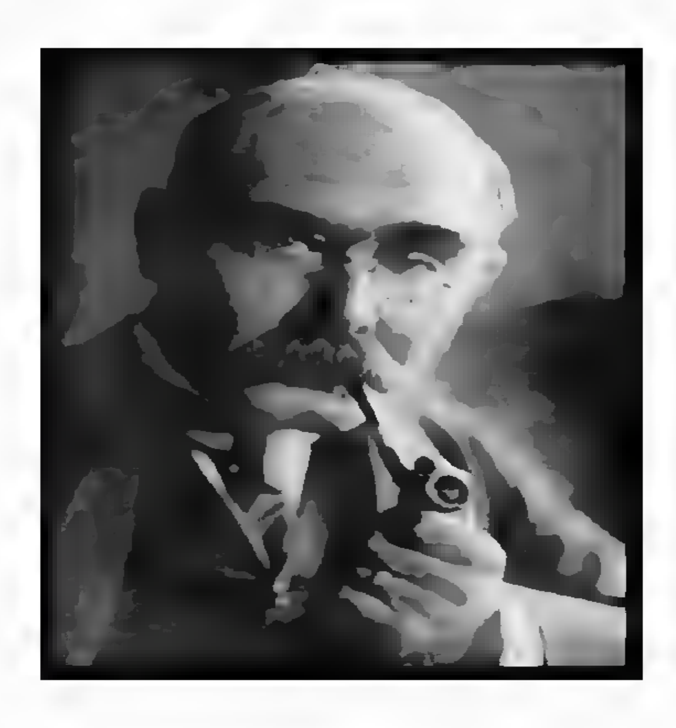
قال المدير: "لا، لم نجد معه أي شيء".

وهكذا انتهى الأمر.

***

النهاية

عن الكاتب جوزيف روديارد كيبلينج



جوزيف روديارد كيبلينج هو كاتب روائي وشاعر وقاص بريطاني من أصل هندي ومن أعظم رواد الأدب في القرن العشرين. ولد كيبلنج في 30 ديسمبر 1865 في مومباي بالهند، وتوفى في 18 يناير 1936 في لندن بإنجلترا.

حصل على جائزة نوبل للآداب في عام 1907 بينما كان في الثانية والأربعين من عمره واعتبر أصغر حائز على جائزة نوبل آنذاكٍ، كما كان أوّل كاتب يكتب باللغة الإنجليزية يحصل على الجائزة.

كان روديارد كيبلينغ أحد أشهر كتاب القصّة القصيرة

بأفضل حبكة لها، كما كان شاعرًا له العديد من القصائد الأدبيَّة، والنصوص النثرية القيمة، كما أن له عدة روايات طويلة حازت على إعجاب الوسط الثقافي باختلاف أذواقه في المجتمع الإنجليزي والمجتمعات المحيطة حتى جاء تقديره أدبيًا لما أنتج قلمه وأثمرت أوراقه خلال تلك الفترة.

كان والد كيبلينج، جون لوكوود كيبلينج، فنانًا وعالمًا، يعمل أمينًا لمتحف لاهور. وقد نسج كيبلينج شخصية رئيس "منزل العجائب" في الفصل الأول من روايته الأشهر تحت عنوان "كيم" على صورة والده الذي كان له أثر كبير في نشأته وميوله الفنية. فيما كانت والدة كيبلينج، أليس ماكدونالد تنتمى لأسرة اسكتلندية عريقة، تزوجت إحدى أخواتها من الرسام الشهير السير إدوارد بورن جونز، كما تزوجت أخرى من رسام شهير آخر، السير إدوارد بوينتر، والثالثة من ألفريد بالدوين وأصبح ابنهما، ستانلي بالدوين، رئيسًا لوزراء بريطانيا، وكأن تلك الأسرة قد اتخذت عهدًا على نفسها باحتضان الفن والمسئوليات السياسية في مختلف أدوارها.

قضى كيبلينج الست سنوات الأولى من حياته في الهند

بعدما ولد بها وجرى احتكاكه الأول بالمعيشة هناك، ثم أرسله والداه إلى بريطانيا حيث قضى الخمس سنوات التالية في رعاية أسرة إنجليزية قد تولت أمر تربيته. لم يكن كيبلينج سعيدًا أثناء إقامته مع تلك الأسرة، وهو ما عمد إلى وصفه في إحدى قصصه القصيرة "با با، الخروف الأسود" (1888)، التحق بعدها بمدرسة داخلية في مدينة ديفون حيث ظل يعانى من حساسيته المفرطة وقصر نظره آنذاك. وهي الفترة التي ظل كيبلينج يتذكرها طيلة حياته، وكتب عنها روايته "ستوكي وشركاه."

وقد تزوج كيبلينج من كارولين باليستير عام 1892 وهي أخت الناشر الأمريكي ولكوت باليستير، انتقل بعدها الزوجان إلى فيرمونت بالولايات المتحدة، حيث لم يتمكن كيبلينج من التعايش مع أسلوب الحياة في أمريكا، فعاد الزوجان إلى إنجلترا عام 1896.

وقبل ذلك فقد عاد كيبلينج إلى الهند عام 1882 حيث عمل صحفيًا لمدة سبع سنوات. كان والداه ينتميان إلى أعلى طبقات المجتمع الإنجليزي في الهند مما أتاح لكيبلينج فرصة التعرف على تلك الحياة، لكنه ظل مطلعًا على حياة السكان الأصليين من الهنود، التي أثارت

اهتمامه منذ طفولته المبكرة. كتب كيبلينج للصحيفة التي كان يعمل بها خلال تلك الفترة الكثير من المقالات والقصائد الخفيفة. قام بنشر مجموعة قصائد عام 1886، ومجموعة قصصية بعنوان قصص من التل عام 1888. نشر كيبلينج خلال سنتين بين 1887 و1889 ست مجموعات قصصية منها "وي ويلي وينكي" الشهيرة. ثم عاد كيبلينج إلى إنجلترا عام 1889 وقد سبقته سمعته هناك، وخلال عام من وصوله أصبح أحد أهم كتاب النثر في عصره.

تضاعفت شهرته عام 1892 بعدما نُشِرت "قصائد شعبية من غرفة الثكنات" عام (1892)، وهي مجموعة من القصائد كتبت بلهجة الكوكني اللندنية، نال كيبلنج حينها مزيدًا من الشهرة. ويقدم النصف الثاني من هذا الكتاب وصفًا للجندي تومي أتكنس ومتاعبه من الأيام التي قضاها مجندًا في الجيش حتى تقاعده عن الخدمة العسكرية. وكان الكتاب الأول من نوعه في الأدب الإنجليزي الذي يصف بطولة الجندي البريطاني العادي وتفانيه الهادئ في القيام بواجبه، كما نشر مجموعة قصائد بعنوان "أغاني حجرة باراك"، التي ضمت ثلاث من أشهر قصائده على الإطلاق "ماندالاي" و "جونجا

دن" و "داني ديفر".

بالإضافة إلى قصصه القصيرة وقصائده العديدة. نشر كيبلينج خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر أشهر رواياته مثل "النور الذي خبا" (1890)، وهي تحكي قصة رسام يصاب بالعمى وتهجره المرأة التي يحبها، كما اكتسب كيبلنج جمهورًا عالميًا كبيرًا من القراء بقصصه التي كتبها للأطفال. وأشهر مجموعاته القصصية كتاب "الأدغال" (1894) ويصف كتاب الغابة مغامرات موكلي، الطفل الهندي الذي يضل طريقه في غابة، ويجد الحماية مع عائلة من الذئاب. وقد جعل كبلنج الغابة تبدو عالمًا سياسيًا واجتماعيًا متكاملاً. كذلك جعل لكل حيوان طريقة مميزة في التفكير والتمثيل. وقد أقلق وجود موكلي وذكاؤه الإنساني جماعة الحيوان، وبعد مرور عدد من السنين عاد ليعيش بين بني البشر.

ثم رواية كيم (1901) والتي تحكي قصة مغامرات ولد يتيم توفي أبواه الأيرلنديان في الهند. وتقدِّم الرواية صورة حيَّة للمجتمع الهند، حيث تمتلك جميع تلك الروايات أسلوبًا راقيًا في الكتابة وجاذبًا فيما يحمله من تساؤلات تثار تلقائيًا حول طبيعة الصراع الذي تحياه شخصيات

كيبلينج. إضافة إلى رواية "القادة الشجعان"1897 وتحكي القادة الشجعان عن مغامرات مراهق في أمريكا على ظهر مركب صيد من طراز إنجلترا الجديدة، وكذلك أعمال أخرى مثل: "البحار السبعة" 1896" وعمل اليوم "1898".

يقدم كيبلينج في قصته "الرجل الذي سيصبح ملكًا" السكان المحليين باعتبارهم جماعة غير محددة الهوية، أي بدون شخصيات ذات خصائص معينة وإنما مجموعة متشابهة تم تقسيمها إلى طبقات حسب منفعتها ودورها: كهنة، جنود، عمال، باستثناء بيلي فيش الذي يتم تقديمه بوصفه شخصية محددة بسبب معرفته باللغة الإنجليزية، غير ذلك فإن جميع البشر الآخرين لا يحملون حتى أسماءهم.

يخرج بطلا قصة "الرجل الذي سيصبح ملكًا" في رحلة من أجل إنشاء مملكة خاصة بهما في جبال أفغانستان المجاورة للهند، لا يتحدث البطلان عن أية نية لديهما للتثقيف أو نقل حضارة الغرب للأقوام المتوحشة في الجبال، لكنهما خلال الرحلة يظهران احتقارًا واستخفافًا كبيرين بهؤلاء السكان الأصليين. لكن كيبلينج الذي اختار

لبطليه الفشل في مساعيهما لا يُرجع سبب الفشل إلى مقاومة السكان الأصليين بل إلى انحراف البطلين عن الأهداف التي كان يتوجب عليهما تحقيقها في تلك الأراضي غير المتحضرة.

أما على المستوى الأدبي، تُظهر قصة "الرجل الذي سيصبح ملكًا" قدرة كيبلينج على الحكي ونقل المغامرة في أفضل صورة لها، حيث يحكي كيبلينج قصته على لسان شخصية داخل القصة، وهي إحدى طرق الحكاية في الأدب الإنجليزي، التي استخدمها العديد من الكتاب، لعل أشهرهم الكاتبة الإنجليزية إيملي برونتي في رواية وذرينغ هايتس (1847)، والكاتب الإنجليزي - البولندي جوزيف كونراد في رواية قلب الظلام (1899) والتي تحكي قصة مشابهة لقصة كيبلينج ولكن في أفريقيا أثناء الاستعمار البلجيكي للكونغو.

إذ يحكي لنا الراوي في قصة كيبلينج عن لقائه برجلين ومغامراتهما في أفغانستان وكيف انتهى الحال بهما إلى تلك النهاية المفزعة. تمتلئ القصة بالكثير من الإشارات للأحداث والشخصيات التاريخية وكذا النظريات الاجتماعية غير المثبتة كي يضفى على قصته مزيدًا من

التشويق. حتى ينتهي الأمر بالبطلين نهاية مرعبة وهو ما آل إليه مصير "كرتز" بطل رواية كونراد.

يستخدم الراوي الذي يعمل صحفيًا في إحدى الصحف الإنجليزية المحلية أسلوبًا ساخرًا، حيث يبدأ كلامه بالإشارة إلى اقترابه ذات مرة من أن يصبح ملكًا، وهو الأمر الذي فشل فيه على الرغم من كونه مثقفًا في حين نجح دانيال درافوت وبيتشي كارنيهان - بطلا القصة - في أن يصبحا ملكين. اختار كيبلينج هاتين الشخصتين المتجولتين، اللذين لا تمتلكان أيًا من مقومات النبل أو الملك. ليس لديهما أي ثقافة أو معرفة بل يعيشان على الانتحال والكذب والابتزاز، حتى نلاحظ أن سبب سقوط البطلين هو رغبة أحدهما في الزواج من فتاة، ويستمر كيبلينج في الاحتفاظ بأسلوبه الساخر طوال القصة فمثلًا يتم استخدام البنادق التي جلبها بيتشي ودانيال للإطاحة بهما، وكذلك في مشهد السوق حين تخفى البطلان في زي درويش مجنون وخادمه، لكن النهاية تشهد وقوعهما الفعلي في الجنون.

كما أن تلك البداية تنبئ بما سيكون عليه وضع بيتشي الذي تخفى كخادم في البداية وظل طوال القصة في

خدمة دانيال على الرغم من اتفاقهما على المساواة بينهما.

إن تلك النهايات القاسية تعد بمثابة إدانة للطرائق التي سلكها بيتشي ودانيال في تلك المناطق النائية من العالم، حيث أعلنا نفسيهما ملكين. ويقتل بطلا القصة عددًا من السكان الأصليين بدم بارد، ويستعبداهم، ويبدو أن ما جلب السقوط إلى البطلين ليس تلك الأفعال فحسب وإنما جشعهما ورغبتهما في المزيد، إنهما ينحرفان عن أهدافهما الأصلية إلى دوامة من الرغبة والكذب وكسر القوانين التي وضعاها في بداية رحلتهما، وكذلك كسرهما للقوانين التي يتنميان إليها.

تم تحويل قصة "الرجل الذي سيصبح ملكًا" إلى فيلم سينمائي عام 1975 من بطولة شون كونري ومايكل كاين وإخراج جون هيوستن. قام الفيلم بتغيير بعض التفاصيل الصغيرة لكنه احتفظ بكامل البناء والقصة، جعل الفيلم الصحفي الراوي في القصة كيبلينج نفسه ولعب دوره كريستوفر بلامر. لاقى الفيلم نجاحًا جماهيريًا ونقديًا كبيرًا وتم ترشيحه لأربع جوائز أوسكار ولم يفز بأيٍ منها.

وفي طريقنا للتعرف على طريقة فكره المتميزة وقدر الذكاء الذي جعله من أشهر الشعراء في فترته وحتى وقتنا هذا "تعرف الشجرة من ثمارها..

تأتي تلك المقولة كأحد أشهر ما جاء على لسان كاتب الرواية والتي تلخص حال كافة إنتاجه الأدبي، حيث يكتسب كيبلينغ شهرته من شهرة ذكائه في الكتابة ومن شهرة أعماله التي تعد نموذجًا صريحًا على ذلك، وكأن أعماله هي الشجرة ورسالتها هي الثمار التي احتفظت بنضرتها حتى وقتنا هذا، واحتفظت بنقل سيرته ككاتب يعمد إلى سرد التاريخ ورسائله وتجاربه الحياتية والعبرة منها في صورة مغامرات شيقة تليق بأكثر من ذوق مختلف للقراء وتوجهات عديدة للنقد في فترته والفترات التي تبعتها.

إضافة إلى القدرة التي مكنت كيبلينغ من المزج بين أسلوبه الساحر وأسلوبه الأدبي المتماسك في البحث داخل النفس البشرية وأغراضها، الباطن منها والواضح لنا، وكأن ممارسة الضغط على الآلام والصراعات تشكل علاجًا مناسبًا بالمواجهة وهو ما نجح فيه الكاتب خلال رحلتنا مع "الرجل الذي سيصبح ملكًا" وعدد قصصه

القصيرة ورواياته وحتى أشعاره التي تحمل دعوة مشتركة ودائمة للتفكير في كل ما يحيط من دوائر نفسية وحجم التساؤلات التي تعرضها والإجابات المحتملة في نهاية المطاف.

ومن أشهر قصائده التي تحمل جانبًا أدبيًا جدير بالتقدير والتذوق أيضًا، والتي تشمل حكما جمة ورائعة وتعكس لنا الاهداف النبيلة للانسان في هذه الحياة ، نروي عليكم قصيدة "إذا استطعت" – للشاعر روديارد كيبلينج

إذا استطعت

أن تحتفظ برباطة جأشك

عندما يفقد الجميع من حولك رباطة جأشهم

ويلومونك بسببها

إذا استطعت أن تثق بنفسك

حينما يشكك فيك كل الذين من حولك،

ومع ذلك تراعي شكوكهم أيضًا

إذا استطعت الانتظار ولم تمل الانتظار

أو أن تكون ممن يُفترى عليه

لا تتاجر في الأكاذيب

أو أن تكون ممن يُحقد عليه لا تستسلم للحقد

مع ذلك لا تبدِ طيبة فائقة

أو تتحدث بحكمة أكثر مما يلزم

إذا استطعت أن تحلم

ولم تصبح عبداً لأحلامك؛

إذا استطعت أن تفكر

ولم تجعل الأفكار هدفك،

إذا استطعت أن تقابل النصر والكارثة

وتعاملت مع هذين الدجالين على نفس القدر من المساواة:

إذا استطعت احتمال سماع الحقيقة كما نطقتها

وقد لويت من قبل الأوغاد لينصبوا فخاخاً للمغفلين..

أو أن تشاهد الأشياء التي نذرت نفسك من أجلها..

وقد تكسرت تنحني لتبنيها بأدوات بالية.

إذا استطعت أن تصنع كومة واحدة من جميع مكاسبك

وتخاطر بها برمية واحدة في لعبة من ألعاب الحظ،

وتخسر..

وتبدأ مرة أخرى من حيث بدأت،

ولا تنبس بكلمة بشأن خسارتك:

إذا استطعت أن تجبر قلبك

و أعصابك

وأطنابك

من أجل خدمة أغراضك بعد أن يكونوا قد قضوا منذ أمد طويل

ولذلك تستمر عندما لا يوجد فيك شيء

سوى الإرادة التي تقول لهم: "استمر "

إذا استطعت أن تتحدث مع جموع الناس

وتحتفظ بفضيلتك..

أو أن تصاحب الملوك

ولا تفقد مقدرتك على مصاحبة العامة و التحدث إليهم..

إذا لم يستطع الأعداء أو الأصدقاء المحبون أن يؤذوك..

إذا كان لكل الناس أهمية عندك..

غير أن لا أحد منهم كثيرًا

إذا استطعت أن تملأ دقيقة عدم المغفرة

بما يساوي ستين ثانية من جري المسافات

الأرض لك و كل ما عليها

و - ما هو أكثر-

ستكون رجلاً، يا بني!

وبعد حياة حافلة من الإنتاج الغزير في مختلف مجالات الأدب والفن، ونقل أفكاره عن محيطه ومجتمعه وكل من عايشهم، بقي كبلينغ يكتب إلى أوائل ثلاثينيات القرن

العشرين، حتى وافته المنية بسبب ثقب في الإثني عشر بتاريخ 18 يناير 1936 وكان عمره 70 سنة. وأحرق جثمانه في محرقة غولدريس غرين، ودفن رماد جثته في ركن الشعراء.

---

1) الآنة عملة هندية تساوي 1/16 من الروبيه

2) إدوارد إيوارت جلادستون رئيس الوزراء البريطاني لعدة مرات خلال الفترة من 1868 حتى 1892، ينتمي للحزب الليبرالي. كان كيبلنج أحد المعارضين لسياساته.

3) كان من عادة الطبقة الوسطى الإنجليزية في الهند قضاء أشهر الصيف في مدن على الجبال حيث تكون درجات الحرارة أكثر لطفًا.

4) الجنرال فريدريك روبرتس أحد القادة الإنجليز خلال الحرب الأنجلوأفغانية الثانية (1878-1880).

5) نهر أكسوس هو الاسم اللاتيني للنهر المعروف لدى العرب باسم جيحون ويطلق عليه الأفغان اسم آمو داريا. والكتاب المشار إليه من تأليف الرحالة والمستكشف الأسكتلندي جون وود (1812 – 1872) عن تاريخ النهر

وجغرافيته.

6) المعهد الملكي المتحد للخدمات الدفاعية والدراسات الأمنية تأسس في لندن عام 1831.

7) الجنرال هنري والتر بيلو (1834-1892) أحد ضباط الجيش الإنجليزي في أفغانستان، له عدة مؤلفات عن رحلاته أثناء خدمته، قام فيها بدراسة المنطقة ولغتها وثقافتها.

8) بير خان هو أحد القادة السياسيين والروحيين، بير تعني ابن القديس أو الولي وخان تعني قائد القبيلة.

9) يتعمد الكاتب الوقوع في بعض الأخطاء اللغوية فيستخدم صيغة الفعل في حالة الإفراد للإشارة إلى كل من درافوت وكارنيهان تأكيدًا على عدم استقرار حالة كارنيهان العقلية.

10) كانت القبائل البدائية قبل المسيحية تقوم بتعميد أطفالها بدماء الذئاب.

11) لوقا 13:19

12) تقول الأسطورة أن بعض جنود الإسكندر بقوا في تلك المناطق وسط أفغانستان، وأن هذا سبب البشرة البيضاء لسكان تلك المنطقة.

13) تقول الأسطورة أن الملكة سميراميس (القرن التاسع قبل الميلاد) ملكة الآشوريين هي من قامت ببناء بابل وغزت مصر وليبيا ولكنها فشلت في غزو الهند.

14) القبائل المفقودة عددهم عشر قبائل يهودية تم فقدهم أثناء الأسر البابلي لبني إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد، تقول بعض النظريات غير المدعومة بأدلة إن الإنجليز أبناء تلك القبائل العشر، وترى نظرية أخرى أن بعض قبائل الأفغان هم أبناء تلك القبائل.

15) جايمس برووك (1803 – 1868) أحد قادة جيش شركة الهند الغربية، ساعد سلطان بروناي على هزيمة قبائل السراواك فتم تنصيبه راجا أي أمير منطقة عام 1841.

16) نائب الملك هو الحاكم العام للهند نيابة عن ملك المملكة المتحدة الذي يحمل أيضًا لقب إمبراطور الهند.

17) قام الجنود الهنود بعصيان في مايو عام 1857 بالقرب من دلهي، وتطور الأمر إلى ما صار يعرف فيما بعد بالعصيان الهندي أو الثورة الكبرى أو حرب الاستقلال الأولى. انتشر القتال بين الهنود والإنجليز في شمال الهند ووسطها، وارتكب الطرفان الكثير من أعمال القتل. انتهت بهزيمة الهنود في يوليو من العام التالي.